صحيفة سوابق

وجريدة بوائق

الجزء الأول

للشيخ

أبي أويس محمد بوخبزة الحسني

حفظه الله

الجزء الأول

جمعها نصيحة لله ورسوله ولجماعة المسلمين من كلام الشيخ أبي البيض أحمد بن
محمد بن الصديق الغماري الطنجي
تلميذه أبو أويس محمد بوخبزة

ولما وقف عليها
بعض تلامذتي النجباء أنشد لنفسه من (السريع) مقرظا

صـــــحيفة للضُّـــــرِّ كاشـــــفةٌ في طيهـــــا ســـــرّ لـــــذي عِـــــبَرِ

أحصـــتْ لنـــا مـــن كـــل موبقـــةٍ عشـــرين نوعـــاً مـــن بـــلا الفِكَـــرِ

عشـــرون بالعـــدِّانطوتْ وحـــوتْ للكفـــر نهجـــاً في حمـــى الضَّـــرَرِ

ســـادتْ بِفَـــدْمٍ مـــا ونى سَـــلَفاً يـــدعو بِـــبُهْمٍ في دُجـــى الغَـــرَرِ

قـــد صـــاغها نَجْـــمُ الهُـــدى مِقَـــةً بالنصـــــح والتحـــــذير مـــــن وَزَرِ

و الحـــال منـــه دائمـــا طـــرباً يشـــدو جهـــاراً دونَمـــا سَـــكَرِ :

نعـــــوذ بالله العظـــــيم مـــــن ال لأواء في ديـــــــن ومِـــــــنْ عُـــــــرَرِ

نعـــــوذ حقّـــــاً بالرجـــــاء لـــــدى خَـــــــــتْمٍ وتوديـــــــــع لمِسْـــــــــتَقَرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، النافين عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين .

أما بعد :

فقد عرفت شيخي المحدث الحافظ، المؤلف المكثر، الصوفي الاتحادي المتشيع، المكنى أبا الفيض، والملقب شهاب الدين، أحمد بن محمد بن (ج) الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغُماري المنصوري التجكاني أصلا، السعيدي مولدا، الطنجي منشأ، القاهري وفاة، المولود سنة 1320 هـ، والمتوفى مُغَرّباً عام 1380 هـ .

عرفته بطنجة في سن المراهقة حيث كنت أذهب مع والِدي كل شهر شوال لحضور ذكرى وفاة والِدِه شيخ الطريقة الدرقاوية بطنجة، وكانت هذه الذكرى موعد موسم حافل بالبدع والمنكرات والفضائح ؛ حيث يقوم سكان أغلب الأحياء بطنجة بإقامة موكب يخرج من الحي بالأعلام والطُبول حاملين الهدايا لضريح الشيخ الواقع بحومة (أمراح) فلا تسل عن الاختلاط وصياح السكارى والهتاف باسم الشيخ، وبعد وصول الموكب إلى الزاوية يخرج الشيخ أحمد من حجرته التي يستقبل فيها الضيوف القادمين من فاس وتطوان والقصر الكبير والبادية، ويترأس حلقة الرقص الذي يسمى "الذِكر" !!، وكم مرة رأيته واقفا في المحراب بقامته وعمامته السوداء وهو يحرك رأسه، والقوّالون ينشدون كلام القوم، والهمج والرعاع من السكارى وأشباههم يرقصون، ثم يرفع الشيخ سبَّابته إيذانا

بانتهاء الحضرة ويدخل حجرته فيتبعه وفد الحي ويقبلون يده ويقدمون له الهدية، وغالبا ما تكون نقودا ورقية، ومن سخافة أغلب هؤلاء السكان أنهم يلصقون هذه الأوراق على ألواح للتشهير والتنافس، فإذا وصلوا إلى الزاوية قلعوها وقدموها للشيخ أحمد فيدعو لهم وينصرفون، وهكذا ينقضي اليوم إلى المساء، وأذكر أنه في أحد المواسم صنعوا للقبر صندوقا خشبيا كبيرا له باب، ونصبوه على القبر، وما زال إلى الآن، ومن أعجب ما وقع في بعض المرات مشاركة جوق الموسيقى العصري برئاسة بعض مريدي الشيخ من تطوان، فتصدح بين الحين والحين أنغام الموسيقى من الآلات الرّومية من شباب فاجر، وقد أمر الشيخ أن تخصص لهم الدكّة التي عن يسار باب الزاوية، فهل سمعت بمنكر يضاهي هذا ؟

و بعد وفاة والدي كانت مبادرة طيبة من الشيخ حيث بعث إليَّ من طنجة عام 1368 هـ بكتابه المفيد النافع "المثنوني (هكذا، والصواب : المثْوي) والبتار، في نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار"، وهو رد على رسالة الشيخ محمد الخضر الشنقيطي المسماة "إبرام النقض، لما قيل من أرجحية القبض" وهي مطبوعة بمصر كالرد عليها، وكتب على طرته : هدية من مؤلفه إلى الشريف الجليل، السني الأثري، سيدي محمد بن الأمين بوخبزة حفظه الله، وذلك في منتصف شوال عام 1368 هـ أحمد بن الصديق .

و قد أكبرت هذه اليد من الشيخ، وبادرت بالكتابة إلى الشيخ أشكر له هديته، وأتودد إليه، شارحا له عواطفي الصادقة نحوه، راغبا في الاستفادة من علمه والأخذ عنه، فأجابني بالترحاب وبالغ في مدح خطي وإعجابه به وبإسلوبي على صغر سني، ثم توطدت الصلة بيننا، وواصلت زيارتي له بطنجة والكتابة إليه في كل ما يعن لي، وما كان يبخل عليَّ بطول المحاورة والمراجعة حتى تجمعت لدي من

رسائله وأجوبته ما يفوق المائة، وفيها ما يملأ ست صفحات بخطه الدقيق، وقد كان عبد الله الكرفطي المدعو التليدي استعارها مني ليستفيد منها في تأليف كتاب عن حياة الشيخ بُعيد وفاته ؛ حيث أزمع الرأي على دعوى المشيخة والولاية بعد دراسة الأحوال وفهم الوضع والواقع على ما هو عليه، وقد أصدر هذا الكتاب الذي سماه "الأنس والرفيق بمآثر الشيخ سيدي ومولاي أحمد ابن الصديق" ومعه المبشرات التليدية، بعد طبعه بتطوان، وهو سُبة في جبين الزاوية والصوفية، ففيه من المصائب والرزايا، ما يناسب حال الزاوية، وكان رغب إليَّ أن أصحح له الكتاب بالمطبعة، ولما رأيته ذكرني فيه وأورد أبياتا من قصيدة لي في مدح الشيخ، والكتاب كما قلت لا يُشرف الشيخ لأنه مدونة خرافات ومنامات، كتبت إليه أرجوه حذف اسمي من الكتاب مع تلك الأبيات، فلم يرفع لذلك رأسا، وعمد إلى ما حلاني به من العلم والشرف فحذفه، واكتفى بالطالب الحاج محمد بوخبزة يريد أن يستفزني بذلك، فكتبت إليه رسالة دامغة ضمنتها قصيدة كافية هجوته فيها مُر الهجو، وزدت فتحديته أن يقرأ هذه الرسالة قراءة سليمة من اللحن والخطأ، فإن فعل أمنت بدعاويه في الولاية والعلم، وقد بشره شيخه أبو البيض حيث عبر له منامات رأى فيها الشيخين ابن عجيبة والحراق، وهو يملي عليهما من كلامه، والحراق يتضاءل إلى أن فني واختفى، بأنه سيدرك مقامهما في الولاية ! ويقول ما يفوق شعرهما وزجلهما، وهذا مذكور في كتابه (المبشرات) [ص 17]، وقد علقت على هذا التعبير بأنني لا أعرف الولاية الاصطلاحية عند الصوفية، فلا أدري ما أقول فيها إلا أنني كنت وما زلت أعرف عن الكرفطي بأنه ولي لا شك فيه، ولكنه من أولياء الشيطان جزما، أما إنه سيقول الشعر ويفوق الشيخين، فبالنسبة لابن عجيبة قد يكون ؛ لأنه ينظم كلاما نازلا مختلا لا قيمة له، أما الحراق فلو عجن الكرفطي عجنا، وأعيد خلقه ما بلغ مده ولا نصيفه،

وأحسن أحواله أن يستطيع قراءته وما أحسبه يحسن، وقد كانت تلك الرسالة التي تحديته بها آخر العهد بيننا، فقاطعته وبرئت منه، وظلت الحال كذلك إلى أن وقفت على بعض أوضاعه، وبلغني عنه، أنه غير اسم الزاوية إلى (دار القرآن)، كما رأيته ينكر اتخاذ القبور مساجد [1]، ووحدة الوجود[2]، والتشيع والرفض[3]، فاستبشرت خيرا، ولكنه سُرعان ما رجع القهقرى وعاد أدراجه فأخبرني بعض تلامذتي من طلبة معهد الشاطبي أنهم زاروه بزاويته فوجدوا (الحضرة) قائمة برئاسة الشيخ والأنعام البشرية تشخر وتنخر وتصيح وتخبط الأرض برجلها وهو يباركهم ويهز رأسه، وهم يترامون على يديه ورجليه يقبلونها اِلتماسا لبركته، فعلمت أن الشيخ ما زال على صلة وثيقة بالرقص والسماع اليهودي، ثم أخبرني الأخ الفاضل خالد مدرك بمكة المكرمة أنه لقيه هناك وسأله عن عمله فأخبره بأنه يقوم بتحقيق كتاب "القول المنبي في ترجمة ابن العربي" للسخاوي، فنهره وقال له : تأدب مع الشيخ (يعني : ابن العربي الحاتمي)، والقول المنبي كتاب فريد في بابه، فقد ترجم فيه لنحو مائة وأربعين عالماً من علماء المذاهب الأربعة ومشايخ الطرق الصوفية في مصر والشام والعراق واليمن، وأورد عن كل عالم وشيخ فتوى بتكفير ابن العربي أو تضليله مع الاحتجاج بكلامه –كما سأفعل أنا بعون الله مع الشيخ أبي الفيض في هذه (الصحيفة)– ومن العجائب أن الشيخ أبا البيض أخبرني عن هذا الكتاب

[1] قال في كتابه تهذيب الترمذي 571/1 معلقا على حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه مرفوعا : "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها" : فيه النهي عن الجلوس على القبر ، والصلاة إليه ، وقد عمت بذلك البلوى وملئت المساجد والزوايا بالقبور ، ولا سيما عندنا بالمغرب ، فأصبح من الحرج بمكان عدم الجلوس عليها ، وكذا الصلاة إليها وعليها ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، والسبب في هذا اتباع مذهب مالك –رحمه الله– الذي يتساهل في هذا الباب . وقد ذهب الجمهور إلى التحريم .

[2] في كتابه نصب الموائد في الفتاوى والنوادر والفوائد .

[3] في كتابه أهل السنة والشيعة بين الاعتدال والغلو .

قديما، وأنه وقف عليه وقرأه، وهو في مجلد كبير، ومع ذلك صرح لي بأن ذلك الجمهور من العلماء والمشايخ لم يصيبوا وجهلوا لأنهم لا يعرفون التصوف الحقيقي (يعني الباطني الفلسفي) ؛ لأن هذا لا يدرك إلا بالذوق، وهكذا أحال الشيخ كعبد الغني النابلسي وأحمد التجاني ومحمد الكتاني على مجهول لا يُدْرَى ما هو، ولا أي ذوق من الأذواق هو، ثم لما طُبع "البحر المديد، في تفسير القرآن المجيد" لأحمد ابن عجيبة، أخبرني الكتبي العشيري بطنجة أن الكرفطي اقتناه بمنتهى الحرص والغبطة رغم غلاء ثمنه، وأخبرني بعض الطلبة ممن كانوا يغشون ثكنته أنه كان يقرأ معهم هذا الكتاب الموبوء، ويبدي إعجابه بأقواله وإشاراته، فعلمت أن الرجل ما زال تحت سيطرة إبليس وأن هذا مازال في حاجة إليه للإغواء والتضليل، وقد كان سبق له معي أنني لما رأيت في (مبشراته) أن بعض حميره رأى الله – سبحانه وتعالى عن إفكهم علوا كبيرا– في منامه على صورة شيخه الكرفطي، وأنه أرسل إلى شيخه أبي البيض يستفسره عن هذه الرؤيا فأجابه هذا ووافقه عليها، وقد تبين بعد أن وقفت على كلام شيخه في تعبير الرؤيا أنها رمز ومثال (و أن الرائي ما رأى إلا الكرفطي) وإلى هذا ينحو لفظ الشيخ[1]، ولكن الكرفطي طواه لحاجة في نفس يعقوب، ولما رأيت هذا مع غيره من الموبقات استنكرت هذا فبلغه ذلك فألف أوراقا بعنوان (الإعلام بجواز رؤية الله في المنام) وطبعها بتطوان، فوقفت عليها ورأيت ما ضمنها من سباب وشتائم وقذف صريح ورمي بالإفك والبهتان، وهو يعلم كشيخه أن من دين الصوفية ولا سيما ابن العربي في "الفتوحات" وجوب محبة الأشراف، واعتقاد أنهم ناجون وسيدخلون الجنة دون حساب، وزاد أنهم أطهار العين الخ– غلوهم الذي لا أساس له — وإنما نبهت على هذا مجاراة لهم، وإلاّ فأنا أقرأ قوله تعالى : (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)، وقوله جل وعز :

[1] المنح الإلاهية بالمبشرات التليدية 13 .

(... فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ..) . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)، ولكن هذا ما لم يتعارض مع أهوائهم ومصالحهم، وإلا فإنهم يستحلون الأعراض، والقذف واللعن ؛ بل والتفسيق والتكفير، وكتبت ردا عليه في كراسة سميتها (الإعلام بمروق الكرفطي من دين الإسلام) أو (بيان إلى الدجال القرمطي، عبد الله الكرفطي) وظل الرد عندي لأنني لا أجد ما أنفقه على الطبع، ولم أفتح زاوية وأستغفل الناس وأبتز أموالهم لطبع الخرافات، وبعد مضي نحو أربعين سنة وقف الأخ الأستاذ عمر بن مسعود الحدوشي فرج الله كربه على هذا الرد، وقرأه وأعجبه، فاستأذنني في طبعه، فأذنت، وطبعه في جزء مع تلك الرسالة المذكورة التي أرسلتها إلى الكرفطي، وبعد مدة طبع هذا جزءاً جمع فيه رسائل أبي البيض إليه، وأضاف إليها عشرين ؛ بل ثلاثين رسالة كتبها الشيخ إلي، ومنها واحدة كتبها بواسطتي إلى الأخ الأستاذ محمد الفلاح رحمه الله، سطا عليها وحشرها دون تمييز ولا استئذان ولا شكران على عادته وعادة مشايخه في السطو على جهود الناس، وهم من كبار (لصوص النصوص)، وهذا كما ترى مخالف للأمانة العلمية، وقد فعل هذا حتى لا يعرف القراء طبيعة الأسئلة وموضوعات البحث، ويفرقوا بين من يسأل عن (نا) و(أنا) عند المحدثين المختصرة من (حدثنا وأخبرنا)، وعن الرؤى والمنامات التي لا تخلو منها رسالة من رسائله، وبين من يخوض مع الشيخ في وحدة الوجود وتصرف الأولياء في الكون وديوان الأولياء، وإيمان فرعون التي تورط فيها الشيخ ووقع على أم رأسه، وكانت مع الوقوف على كتابي (الإقليد) و(البرهان الجلي) الذي لم يطبع إلا بعد وفاته، وبعد لطف الله وعنايته، سببا في توبتي وبراءتي منه ومن الزوايا والتصوف، والحمد لله على ذلك، كما سيأتي تفصيل ذلك في الفصول العشرين من (الصحيفة) بإذن الله وتوفيقه، وقد سمى الجزء (در الغمام الرقيق، برسائل

الشيخ السيد أحمد ابن الصديق) وقرأته فإذا به عَرّض بي وبشيخيه : السيد الزمزمي رحمه الله وعبد العزيز، وكنت أحسب أن حُماه هدأت إلا أن شيطانه لم يمهله حتى نَزَغَه بقوة، فقال في صفحة 7، وهو يتحدث عن أبي البيض : (و أوذي في حياته وبعد موته في دينه وعرضه حتى من أقاربه وبعض الخونة من تلامذته الذي تتبع مساويه وعَوَراته، وسيلقى جزاء ذلك وافيا، فلْيطب نفسا بما اكتسب) فعجبت للأحقاد السوداء كيف تتنامى وتعيث فساداً وضرراً في ضمائر من لا يخشى الله، وأنا على يقين من جزاء الله الوافر، وثوابه المتكاثر على ما قمت به من الذب عن دين الله وشرعه، والانتصار للحق والحقيقة بهدم الهياكل التي لا أساس لها وتعرية المبطلين، والكشف عن عورات ومساوئ الأفاكين، التي كانوا يجاهرون بها معلنين ولا يبالون، ويدعون إليها ليل نهار ولا يستحون، ولم أبحث عن الخفايا والأسرار، وإنما تتبعت الموبقات التي أزكمت الأنوف، وفرقت الصفوف، وهي واجب كل من عَرفها ولمس ضررها في الدين والدنيا، أما ما تضمنه كلام الكرفطي من التهديد الصوفي والإرهاب الفكري فتلك شنشنة أعرفها من أخزم، وهي مما ورثه هذا الشقي الهالك عن أسلافه الأولين الذين قالوا لنبيهم هود عليه السلام : (.. إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء، قال : إني أُشْهد الله واشهدوا أني برئ مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون)، وفي السيرة أن المشركين هددوا خالد بن الوليد رضي الله عنه لما ذهب لهدم صنم العزى، وقالوا : احذر الجنون احذر الجذام الخ، ولكن سيف الله مضى لعمله، ومن لنا الآن بمثل خالد ومن تبعه من أئمة الهدى كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب، يتوجهون إلى المزارات والقباب التي على الأضرحة التي بنيت محادة لله ورسوله فيسوونها بالأرض، ونشير هنا إلى مأثرة إيمانية لشيخنا الدكتور الهلالي رحمه الله التي أقدم عليها على مرأى ومسمع من (الوهابية) والتي لا يعرفها كثير من الناس، وهي

اجتثاثه لما يسمى : بستان فاطمة بصحن المسجد النبوي الذي كان يشتمل على نخلة وأشجار، لاحظ شيخنا أن النساء يتمسحون بها ويأخذون من أغصانها للتبرك، وشكا ذلك إلى العلماء والمسؤولين فلم يجد أذنا صاغية، فعمد ليلا مع تلاميذه –و كان وقتها إماما بالحرم النبوي– واستأصلوا تلك الأشجار، وأخرجوا جذوعها إلى البقيع، وهكذا طُهِر الحرم الشريف من أسباب الشرك ووسائله، فرحمه الله وأجزل ثوابه[1] .

وبعد أن وقفت على صنيع الكرفطي خِفت على البقية الباقية من رسائل أبي البيض إليَّ، فأوعزت إلى أخي الأستاذ الفاضل بدر العمراني أن يسعى لطبعها، وأن يسميها : (الجواب المفيد، للسائل المستفيد) وهو الاسم الذي كان اقترحه عليَّ الشيخ أبو البيض عندما أجمعُ الرسائل حتى لا تضيع، وقد طبع الجزء وفيه من الفوائد والمساوئ ما لا تجده في سواه، وقد كنت كتبت مقدمة ضافية لتنشر مع الجزء، وفيها شرحت بعض مواقف الكرفطي إلا أن بدرا كَعَّ ولم ينشرها مع الأسف، وأحسب أنني ضمنتها أحد أجزاء (جراب السائح)، ومنذ سنوات زارني بعض الإخوة من سلا ومراكش ودرسوا عليَّ (ملحة الإعراب) للحريري في النحو، ورغب أحدهم وهو الأخ أبو سفيان مصطفى باحو في الاطلاع على آثار أبي البيض من مطبوعات ومخطوطات ومنها رسائله قبل أن تطبع فأعطيتهم منها ما شاءوا ووقفوا منها على ما قف له شَعَرُهم، فانبرى أبو سفيان لجمع فضائحها في جزء طبعه بمراكش بعنوان : (تنبيه القاري، إلى فضائح أحمد بن الصديق الغماري) وقدّمه له شيخه الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ولم يستوعب الكتاب ما أعرفه من فواقر أبي البيض، وانتشر الكتاب، ووصل إلى الغماريين

[1] انظر الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة 161 .

بطنجة وإلى ذنبهم الأجرب أبي الفتوح، فأجمعوا كلهم على أن الكتاب من تأليفي، ولم ينفع إنكاري، لأن من عادتهم التصميم على الرأي وعدم الرجوع عنه، ولو نزل الوحي بالبراءة (أيٌّ كذا خُلِقتْ) وليس من عادتي –و الحمد لله– أن أكذب، والحق أن ليس لي في الكتاب حرف واحد إلا أنني أطلعتهم على ما عندي من تآليف ورسائل أبي البيض، وما أخذوه عني مشافهة، وإلا قصيدة رائية نظمتها إعلانا بالتوبة، وبراءة من الزاوية وأهلها، نشرت في أول الكتاب بعنوان (قال درقاوي تائب)، وقد حرفها عمداً أحد ضحاياهم الجُدد، إلى : خائب، خيب الله سعيه .

وهذا الإمعة الذي نبغ مؤخرا يسمى : عدنان زهار، وهو من (البيضاء) ويقطن البْريجة (مدينة الجديدة)، وقد زارني ببيتي وكاتبني أكثر من عشرين مرة سائلا مسترشدا، وكانت رسالته الأولى في ورقة بأعلاها صورة أبي البيض، فتوجست منها خيفة وعلمت أن الولد مهووس بالغماريين جَرفه تيارهم الوثني، وأنه لا أمل في إنقاذه (إنك لا تهدي من أحببت).

و كنت أتمنى أن يهديه الله على يدي لإحراز ثوابه، ولكن الفتى الشاب الغرّ سرعان ما انقلب على عقبيه، وقلب لي ظهر المجن، وسفر عن وجه مسْود كالح، ودهشت لما بدر منه دون سبب معقول، وهو تلميذي استجازني وأخذ عني، وراجعني، واستشارني في عشرات المسائل، واستعار مني كتبا، ومدحني في فواتح رسائله ب (شيخنا العلامة الأديب الشريف)، وبعد مدة انقلبتُ خائنا كذابا مجرما كنودا حقودا وهابيا خبيثا جهولا ،...، إلى ما احتوت عليه رسالته (دفاع عن كرامة وعرض سليل الأشراف الحافظ الإمام سيدي أحمد بن الصديق الغماري رحمه الله)، التي قدمها له شيخه (المحدث الشريف أبو الفتوح) عبد الله بن عبد

القادر التليدي حفظه الله، المطبوعة بطنجة في قالب كبير في 172 صفحة، وقد زين رسالته بصورة كبيرة لأبي البيض في طالعتها، وفي ورقة الغلاف الأخيرة صورة نصفية لأبي البيض بالزي السوداني أخذت له بالخرطوم قبل وفاته بقليل، وفي أسفل الورقة صورة المؤلف، وهو معمم يُلقي خطابا على كرسي وأمامه المكرفون، وخلفه العلم المغربي، ولعله كان في حفل سياسي رسْمي، لأنه موظف محاسب (كُونطَبْلي) بعمالة الجديدة، والعجب أنه رضي بذلك وهو المحدث الناقد الذي يتعقب كبار الحفاظ[1] ويجرح ويعدل دون حسيب ولا رقيب، ولا غرو فهو مزكى من مشايخه الكبار كأبي الفتوح (بالمفهوم المغربي، وهو ما يقدم للشيخ والراقي، ويسمى : الزْيارَة، وقد كَناه بذلك شيخه أبو البيض، لما يعلم من حرصه على جمع الفتوح، وحبه الجم للمال والمشيخة) والزنيم المقبوح محمود سعيد ممدوح، والسخاف العسّاف حسن السقاف، وهو رغم اتفاقه مع ممدوح في بطر الحق وغمط الناس، عدو لدود له يتمعر وجهه لمجرد سماع اسمه كما لمسته بنفسي منه، والعجب أنه فرط من المصري مع شيخه إمام العصر، وزعيم المحدثين دون منازع شيخ الإسلام الألباني رحمه الله وطيب ثراه، مثل ما حصل لتلميذي العاق عزنان زُحار معي من العقوق الفريد، فكلاهما كتب لشيخه مع إطراء بالغ، وإقرار بالأخذ

[1] من ذلك جرأته في التهجم على الذهبي في تعليق له ببعض تخريقاته ولا أقول تحقيقاته : وأما إيراد الذهبي له (أي شيبان بن عبد الرحمن) في "المغني في الضعفاء" فلا يلتفت له ، لأنه أورد من هو أجل منه وأوثق وأحفظ فقد ذكر فيه أمير المؤمنين البخاري (557/2) غفر الله له . الأجوبة الصارفة 21 .

قلت : لم يذكره ابتداءً وإنما ذكره للتمييز وعبارته موحية بذلك قال رحمه الله : (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري قدم بغداد طاب حديث على رأس 500 وكتب عن الموجودين قال ابن الجوزي وغيره : كان كذابا ، فأما أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مولى الجعفيين فحجة إمام ولا عبرة بترك أبي زرعة وأبي حاتم له من أجل اللفظ لأنه مجتهد في المسألة ؛ بل مصيب) . انتهى كلامه . فتأمل واعجب من جهالة هذا الغويلم .

والاستفادة، وزاد هذا إهداءَ بعض كتبه للشيخ، أما السقاف فقد أكل الحقد قلبه، وشوى الحسد كبده، ولم يَبْرد أُواره إلى اليوم، وقد قدّم لي بنفسه عند زيارته لي أكثر من عشرين رسالة كلها تدور على الرد على الألباني وتعقبه بالباطل في غالب ما كتب، وقد نصحته بالكف عن هذا البغي السافر، وأشرت له بالتوقف عن الانسياق وراء الغماريين عبد الله وعبد العزيز اللذين كانا سبباً مباشرا في ضلال جمهور من الشباب في طنجة وغيرها، ولا سيما في ميدان الرفض والتشيع الذي كان أبو البيض أول من نجّس به ربوع المغرب بعد أبي عبد الله الشيعي زعيم العبيديين الذي هلك منذ ثلاثة عشر قرنا، ودرست دولته كما هو معلوم، وسنشرح بعون الله هذا في الفصول الآتية من (صحيفة سوابق) فليهنأ عَزْنان بهذه المشيخة الكريمة، ولعله يفرد لهم معجما يُدون فيه مناقبهم، وصدق الشاعر حيث قال : [البسيط]

إِنَّ الزَرازيــرَ لَمّــا قــامَ قائِمُهــا تَوَهَّمَــت أَنَّهــا صــارَت شَــواهينا

و هكذا تزبّب عزنان قبل أن يتحصرم، وأراد أن يطير ولما يريش، كما قال الذهبي[1].

ثم إنني لا أعرف سببا مباشرا لهذا العدوان الذي هو أشبه بسُعار شيخه أبي الفتوح، ثم توقفت بعد تفكير أن السبب هو تردده الكثير على شيخه الذي كان يفاوضه في الرد وفصوله، وما كان يلقاه منه من تشجيع تدل عليه مقدمته العوراء، وحث متواصل، وما شحنه به من كراهية وبغضاء ما زال قلبه الأسود يُفرزها رد الله

[1] انظر سير أعلام النبلاء 191/18 .

كيده في نحره، وكفانا خبث شره، وقد فعل قبله ذلك مع فتى آخر ممن أشرب قلبه حب الخرافات والمنامات، وترامى في أحضان الأحلام والترهات، فكتب رسالة أشاد فيها بأبي الفتوح وتناولني بيراع مبحوح، دون سابق معرفة، ولم أدر سبب ذلك إلا رغبته في استدراجي إلى الرد عليه، ولذلك أعرضت عنه امتثالا لأمر الله تعالى (... وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)، وقد عرفت من قراءة كتاب عزنان أنه أفرده للرد على أبي سفيان مصطفى باحو وشيخه مقدم كتابه المغراوي، وحشرني معهما معتقدا أنني مؤلف (تنبيه القاري)، ولذلك كتبت هذا انتصارا للحق ودفاعا عن نفسي تمسكا بقوله تعالى : (و الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) وقوله جل وعلا : (و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)، أما ما يتعلق بالأخوين باحُّو والمغراوي، فهما أولى بالرد والدفاع عن أنفسهما، وبينهما وبين الوقِح عزنان بون شاسع، ولهما ولا سيما باحّو من الأوضاع العلمية التي تجاوزت العشر ما تعجز عنه الجماعة، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وما زال الأخ باحو عاكفا على التدوين، ويتحرى أن يأتي بجديد يحسن السكوت عليه، ويجمع كل دواعي التأليف وشروطه أو بعضها، لا كتأليف المقبوح المصري التي هي مصادرة وجهالة، وقد تورط أخيرا في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتقديمه لجزء مختلق موضوع زعم ولي نعمة ممدوح عيسى المانع أنه جزء من مصنف عبد الرزاق، من وقف عليه جزم للوهلة الأولى أنه مما عملت أيديهم، والسبب أن الجزء يتضمن أحاديث موضوعة تؤيد غلو الصوفية في أولية النور المحمدي ونحو هذه البلايا، وسيصدر الرد[1] على هذا الكذب المكشوف الذي ضحى بدينه المقبوح المصري في سبيل نفع مادي، أما السقاف فتنافضاته التي سماها شيخه عبد الله، لم يكتبها لخدمة الحديث، وإنما

[1] وقد تولى الرد الأستاذ الفاضل الشيخ محمد زياد التكلة حفظه الله ، وقد قدمته له .

حسدا للألباني الذي أصبح مرجعا لعلماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وقد خلف من التلاميذ جمهورا يدافعون عن الحق عدولا علماء ثقات، وهذه آثارهم بارك الله فيهم ملأت السهل والوعر، أقامهم الله شجى في حُلوق المجرمين المبتدعين، وقذى في أعينهم، وهذا شيخك أبو الفتوح وقد ابتلى الله به الكتب والمطابع، ووجد في الناشرين التجار من لا يهمه من ذلك إلا المال، فخف الشيخ لذلك وشرع في الاختصار، فاختصر "جامع الترمذي" وهذّمه معتمدا على الألباني دون شك ولا ريب، وكان قبل ذلك سبه ونال منه[1]، واختصر خصائص السيوطي[2] مستعينا بطبعة الشيخ خليل هراس دون أن يشير إليه كالعادة، هذا في الطبعة الأولى، أما في الطبعة الثانية فشأنه بالنقد والتنقيص، كما شأن شيخه عبد الله بن الصديق حينما حذف تصديره المثبت في الطبعة الأولى، وجمع الأحاديث القصار، وليس فيها قصير، واختصر شفا عياض، وقد نفس شيخه عليه اختصار الخصائص، وقال بأنه سبقه إليه، وجمع آيات التوحيد، وقد سبقه جمال الدين

[1] هذا في رسائله المحفوظة عندي بخط يده ، وأما الآن فيسر حسوا في ارتغاء ، حيث يذكر في كتاباته أنه يستفيد منه دون تقليد لما تشتمل عليه كتبه من أخطاء فاحشة وتناقضات فادحة ، وهذا الكلام موجود في مقدمة تهذيب الترمذي وجواهر البحار ، في حين أنه لو قلده لسلم ، ولأنقذ نفسه من الجهل والوهم ، ودونك بعض طوامه :

قال في تهذيب الترمذي عن حديث رقم 2836 في تفسير قوله تعالى "لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر.." : سنده صحيح ورواه البخاري مختصرا .

قلت : والصواب أن الحديث ضعيف كما قال الألباني ، لأمرين : تغير حجاج بن محمد المصيصي الأعور ، والإدراج الواقع فيه من قبل ابن جريج وقد نص عليه الحافظ في الفتح 262/8 . فهل هكذا يكون التصحيح يا أبا الفتوح !؟

[2] مقتصرا على الصحيح حسب دعواه ، في حين أنه لا زالت بعض الضعاف فيه تشينه وتكدر صفوه ، من ذلك : حديث "آخر شراب تشربه من الدنيا شربة لبن" رقم : 421 . قال : رواه أحمد 319/4 بسند صحيح . قلت : بل ضعيف فيه علتان : الأولى تدليس حبيب بن أبي ثابت وقد عنعن . والثانية الإرسال لأن أبا البختري لم يسمع من عمار ولا من غيره من الصحابة . هكذا يكون التصحيح وإلا فلا.

القاسمي في (دلائل التوحيد) والدكتور الهلالي في (سبيل الرشاد) وبالجملة، فتآليف الشيخ المربي كلها على هذا المنوال، لا يعجز عنها إلا من يعجز عن الكتابة والنسخ، ولعله يفكر الآن في اختصار القرآن لإنهاء السلسلة، نسأل الله العافية , وبالمناسبة فقد حدثني الثقة عن الشيخ عبد الله بن الصديق، وقد كان من أخص تلاميذه أنه حدثه مرارا أنه ينقم على أبي الفتوح أمرين : دعواه النسب النبوي، ودعواه المشيخة الصوفية، كما حدثني عنه –و هو من أعجب ما سمعت– أنه كان في أواخر عمره ينكر وحدة الوجود ويناظر شقيقه عبد العزيز الذي كان كأخيه الأكبر أحمد غاليا فيها لدرجة المقت، وألف مجلدا قصره عليها سماه (السوانح) أوردت فيه عشرات الآيات والأحاديث معظمها لا يصح حسبها تشهد لزندقته، وقد كتبت ردا عليه سميته "تحصين الجوانح، من سموم السوانح" لأنني لما رأيته لم أستطع السكوت عنه وهو من الكفر البواح . وبالجملة فحالي مع مُحْدِث البْرِيجَة (بضم الميم وكسر الدال) عَزْنَان زُحَار، وسيأتي شرح هذا الاسم، كما قال علي بن الجهم ولله دره : [الوافر]

بَـــلاءٌ لَـــيسَ يُشـــبِهُهُ بَـــلاءٌ عَـــــداوَةُ غَـــيرِ ذي حَسَـــبٍ وَديـــــــــــــــــــــــنِ

يُبيحُـــــكَ مِنـــــهُ عِرضـــــاً لَم يَصُـــــــــــــــــــــنهُ وَيَرتَـــــعُ مِنـــــكَ في عِـــــرضٍ مَصـــــــــــــــــــــونِ

و قد أتاني الأخ بدر بكتاب زَعْنان أواخر شعبان، فلم أشأ أن أخوض مع المبطلين ورمضان على الأبواب، وبعد العيد وافاني بدر سدده الله وجزاه خيرا بردِّه

عليه، سماه : (وقفات مع عدنان زهار في دفاعه عن الشيخ أحمد بن الصديق الغماري) في 35 صفحة بالحرف الصغير، وقد قرأتها فألفيتها وقفات موفقة مؤيدة، استوفى فيها أغراض البُريجي، وناقشه بأدب وموضوعية، دون تهويش ولا تهويل ولا تكرار ممل، وترديد للتكذيب والتخوين دون دليل ولا حجة، كعادة عزنان الذي أخرج كتابه من بين فرث ودم، فبرز خلقا مشوها ملطخا بعذرة صاحبه، بعد ما سكت عنه الغضب، ومن تأمل (وقفات بدر) بإنصاف، وجدها كافية مفحمة، وإن كان عزنان سوف لن يسكت لما فُطر عليه من اللدد والخصومة التي كان بها أبغض الرجال إلى الله، و"أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُ الخَصِم" كما ورد[1]، ونحن معه كما قال الشاعر –و هذا قدرنا– : [السريع]

إن عـــادت العقـــرب عـــدنا وكانـــت النعـــل لهـــا حاضـــرهْ
لهـــــــــــــــــــــــــــــا

و قد رأيت قبل الكلام على فواقر أبي البيض في الفصول العشرين التي تتألَّف منها (صحيفة سوابق) أن أسجل (طُررا) على هامش دفاع عزنان أرد بها عُدوانه عليّ، وأضع لها رقما مسلسلا منبها على مسائل وفوائد مهمة، ومشيرا إلى أنني لم أستوعب جرائمه، فإنها بلغت من القرف حدا أثار الغثيان، فمررتُ بها مُرور الكرام باللغو، وهذا أوان الشروع في الطُّرَر :

الطُّرة 1 :

[1] رواه البخاري 2277 .

تتعلق بعنوان الرسالة "دفاع عن كرامة وعرض سليل الأشراف ..."، ففي وصف سليل الأشراف يعني أنه شريف الأب والأم، وأبادر فأقول قبل كل شيء أنا لا غرض لي في هذا البحث، وأنا أعلم أن الناس مصدقون في أنسابهم، وأن الطعن فيها من خصال الجاهلية، والمقصود التنبيه[1] على شيء غير معهود بدافع الشفقة على الأدعياء، وهم يعلمون ما ورد فيمن انتسب إلى غير مواليه من اللعن والحرمان من الجنة، ونحن نعلم أن نسب أبي البيض من جهة الأب والأم لم يتناوله النسابون في المغرب وغيره، وهم كثيرون، وكتبهم متداولة، وقد راجعناها فلم نجد من أشار إلى نسبهم إلا إدريس الفضيلي، وهو متأخر جداً (ولد سنة 1260 هـ، وتوفي سنة 1312هـ)، فقد أوردهم في (الدرر البهية والجواهر النبوية) ونسبهم إلى سليمان أخي إدريس دفين عين الحوت قرب تلمسان[2]، في حين أنهم ينتسبون

[1] وما أنا بشاذ في هذا الباب ، بل سبقني إلى هذا ابن عمهم الأستاذ المهدي المومني التجكاني رحمه الله صاحب كتاب "دار بريشة أو قصة مختطف"، الذي بارزهم بالطعن ، وناظر في ذلك الشيخ عبد الله بن الصديق في محفل عائلي بتطوان فأفحمه ، لكن الشيخ عبد الله أسرها في نفسه ، وعرض به في كتابه "سبيل التلفيق" بكلمة عوراء ، لا تنطلي إلا على أعمى القلب والبصيرة .

[2] قال خلال الفصل الثالث في ذكر أبناء الفرع الثالث من فروع مولانا عبد الله الكامل وهو السيد سليمان :

(و فرقة بغمارة وهم أولاد عبد المؤمن ، ورجع بعضهم لتلمسان ، وجميعهم أولاد السيد عمر الشريف بن أحمد بن محمد العابد بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل) . 177/2 . هكذا ذكر هذا الكلام دون دليل يعضده ، ولا يقال بأنه أعلن عن منهجه في المقدمة بقوله : (و قد التزمت بحول الله أن لا آتي إلا بما صح لدي ، أو أداه خيار الثقات إلي ...) 27/1 . قلت : لكن أعوزه البيان في هذا المكان ، وعلى الأخص فيما انفرد به دون غيره ، لأنه لا عليه الدعوى ، ووسموه بالوهم والغلط في الفحوى .

و مما يدل على الخلل والخطل ، وعدم التثبت فيما ادعى ، قوله يكتب لنفسه ؛ بل يكتب لمن سيأتي بعده ، من ناقد متثبت ، وها هو ذا سلط عليه المعول من أبناء الفرقة ، حيث ردوا في آخر الفصل :

أدارسة كما بينه أبو البيض في "سبحة العقيق"، واختصارها "التصور والتصديق[1]"، وهذا بدون شك يدعو إلى التوقف والورع، لأنه شبهة قوية في موضوع صعب، علما أن نسّابة المغرب لم يدَعُوا نسبا مهما كان خفيا إلا نبهوا عليه، وتتبعوا ذلك بأوامر سلطانية، وعين لذلك نقباء عدة كما هو معروف[2]، وما يقال عن نسب أبي البيض من قبل الأب كذلك يقال من قبل الأم، فإن نسب بني عجيبة لم يثبت، وقد قيل بأن الشيخ أحمد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وهو يقول له : أنت ولدي حقا، ومع ذلك فلم يكن ينتسب إلى البيت النبوي تورعا ، وكان يقول : فحسب المرء دينه وشرفه تقواه، قال تعالى : "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : "إنه لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى" . أو كما قال عليه السلام[3] . لكن غلبت عليه شقوته واطمأن للترهات والمرائي التي لا يثبت بها حكم أو نسب، فانتكس وقال : وقد كنت أتنكب الانتساب وأتحرج

(فهذا ما وسعني تقييده من هذه الفروع المباركة ، وقد كثر فيها الادعاء ، فيجب الاحتياط فيمن ينتسب إليها ، والله الكريم الستار ، الفاعل المختار ، لا إله إلا هو خالق كل شيء) . 178/2 .

[1] أتى فيهما بدعاوى لا خطم لها ولا أزمة ، كالتبجح بظهائر الملوك العلويين (و على الأخص ظهير السلطان إسماعيل ، الذي اكتفى بالإشادة بجهوده في جمع وتنقيح الأنساب الشريفة) دون ذكر نص ظهير واحد يركن إليه ؛ إلا ظهير يوسفي ، في صحته نظر ، وقد قيل : إنه عمل بيد ، إذ لو كان بيده أعلى من هذا لأورده ؛ ولكن الغريق يتمسك بقشة كما يقولون .

[2] وبعد هذه الطعون الواضحة الجلية ، أترك للقارئ الفطن فرصة التأكد من سلسلة نسبهم المزعومة من خلال تطبيق قاعدة ابن خلدون ، القائل : "إنا إذا شككنا في نسب ، حسبنا كم بين من في أوله ومن في آخره من السنين ، جعلنا لكل مائة سنة ثلاثة أنفس ، فإنها مطردة عادة ، وإن أخرمت فبالزيادة" . وهذه القاعدة نقلها الحافظ ابن حجر عن ابن خلدون ثم قال : ولقد اعتبرنا بها أنساب كثير ممن أنسابهم معروفة فصحت ، وأنساب كثير ممن يتكلم في أنسابهم فانخرمت . انظر نظم العقيان للسيوطي 138 .

[3] الفهرسة 19 .

منه في شهادتي وكتبي لعدم تحقق ذلك حتى رأيت شيخنا (أي : البوزيدي) وشيخه (أي : الدرقاوي) يصرحان به في كتبهما لي ولأخي، وهما يتكلمان بالله وينظران بنور الله فعلمت صحة النسبة مع الحكاية المتقدمة قبل . والرؤيا التي رآها الشريف العلمي وغيرها، فقوي اليقين بصحة النسبة، والله تعالى أعلم[1] . وهذا لا قيمة له في الميزان العلمي، والله المستعان على ما يصفون .

و بالمناسبة نقول عن نسب شيخ عزنان الأثير أبي الفتوح بأنه شديد التمسك بالنسب النبوي لما يتوهمه فيه من النفع والمجد كمشايخه الغماريين، وإن كان شيخه أبو البيض لم ينعته في فواتح رسائله بهذا الوصف على خلاف عادته مع الأشراف، فهذا رصيفه البقالي ذو اللحية الحمراء، وعدوه اللدود يصفه شيخهما أبو البيض بالشرف في رسائله إليه وهي كثيرة وقفت عليها، وهذه رسائل الشيخ إليّ وهي تناهز المائة وكلها كما يعلم أبو الفتوح متوّجة ! بهذا الوصف الفَضْلة الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وإنما أتكلم الآن بلسانهم مجاراة لهم، ومن الوقاحة بمكان واقتحام عقبة الباطل دعوى أبي الفتوح النسب النبوي وإثباته سلسلته —و هي قطعا مما عملت أيديهم– نقلا عن رجل سماه (ابن الحوات[2]) ذكره في تقييده الشهير !؟

والواقع أن ابن الحوات هذا هَيَّان بن بَيّان، أو صلمعة بن قلمعة، أو عوج بن عنق، لا وجود له بين الخلائق، وتقييده (الشهير) لم يسمع به، فهو كأوراق الكنوز والجداول وكتابة العطف والمحبة الموجودة بكثرة عند الفقهاء المشارطين في البادية،

[1] الفهرسة 20 .

[2] انظر حياة الشيخ أحمد ابن الصديق 114 .

وعهدي بأبي الفتوح يُعْنى بها، ويبحث عنها، ويُجَربها، ويجيز بها[1]، لما كان يُعانيه من فقر وحاجة، والمعروف بعلم الأنساب هو النسابة الأديب أبو الربيع سليمان الحوات العلمي، وله عدة كتب في الأنساب، ولا يعرف أنه تناول هؤلاء بكلمة، فهل يثبت النسب الشريف برجل نكرة غير مقصودة، يُسمى (ابن الحوات) في تقييد مجهول لا خطام له ولا زمام، ولكن لا غرو ممن يفتات على الله ورسوله، ويعيش عمره في الترويج للرؤى والمنامات، ودعوى رؤية الأنبياء والرسل ؛ بل رؤية رب العالمين، وجمع الناس على السماع المذموم والرقص اليهودي، وهو في نفس الوقت يزعم أنه خادم الحديث بالمغرب، وأنه يدعو إلى العمل بالسنة، وهذا لعمر الله الدَّجل والبُهتان، فكيف تستوي الظلمات والنور ؟

الطرة 2 :

حول (تقديم) أبي الفتوح لكتاب عزنان، فإنه يتضمن مغالطات، وفيه كذب مفضوح، وهو يعرض بي بالدَرَجة الأولى ويمزج ذلك تلبيسا وتدليسا بمؤلف (تنبيه القاري) وشيخه المغراوي، ومن العجب أن يصف الشيخ وتلميذه فواقر أبي البيض بهفوات اجتهادية مغفورة له، والتي لا يخلو منها عالم في كل زمان ومكان على حد تعبيره [ص : ب]، فهل اعتقاد وحدة الوجود، واعتقاد أنها ما انطوت عليه ضمائر الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، من عهد آدم إلى النفخ في الصور، ومن لم يعتقدها فإيمانه مدخول، مع أن العلماء المحققين بحثوا عن تلك الموبقة فوجدوها عريقة في الوثنية، وأنها لم تظهر في الإسلام إلا في القرن الثالث، ومن يعتقد إيمان فرعون (حشره الله معه)، وأن إبليس كان على حق لما امتنع من

[1] فقد ورد في نموذج إجازته المتداول بأيدي تلامذته : فقد أجزت .... أن يروي عني كل ما صح لدي من ..... وعلم أسرار الأسماء والحروف ... . تأمل .

السجود لآدم ؛ لأنه –أي : إبليس– هو الله تعالى، فكيف يسجد لنفسه ؟ ومن يرجح فناء النار، وأن عذابها قبل فنائها عذْب لذيذ، وأن جماهير العلماء والأولياء في مختلف العصور لم يفهموا التصوف الحق أي الباطني الوثني ؛ لأنه لا يدرك إلا بالذوق، كما زعم اتباعا لأسلافه الزنادقة، وهل من زعم أن نبوة التشريف ما زالت مستمرة وأن النبي بل والأولياء يعلمون الغيب حتى الخمس التي استأثر الله بها، ... إلى غير ذلك من المصائب والبوائق التي لا تمحوها البحار، ومن آخرها وقد مات وهو يلهج بها : المطاعن في عدد من الصحابة والوقيعة في بعض أفاضلهم كخال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، سيدنا معاوية بن أبي سفيان، وإنكار عدالة الصحابة، وتسجيل أن أغلبهم كانوا يبغضون علي بن أبي طالب (هكذا بخطه : أغلب الصحابة)، فيلزم عليه أنهم منافقون للحديث المعروف : "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"، فهل هذا وغيره هفوات اجتهادية (مغفورة له)، وهذه جرأة على الله تعالى، فمن أنبأ أبا الفتوح بأنها مغفورة له، وكيف تكون لا يخلو منها عالم في كل زمان ومكان، وقد حكم الفقهاء في باب الردة من الفقه في جميع المذاهب بردة من يرتكب أقل منها كما يُعلم من مُراجعتها، فما نقول في هذا الفدم الغبي الدعي ؟ على أنني أعترف بعلم الشيخ وفضله، ولكن هذا لا يحول بيني وبين الشهادة بالحق والجهر به، عملا بقاعدة الولاء والبراء، وأنها من أوثق عرى الإيمان، ولا يحصى من العلماء من حذّروا من آبائهم ومشايخهم لما علموا أنهم غير ثقات، وكلامهم في الجرح والتعديل مدوّن مشهور، ولولاهم لدخل الوهن باكرا في الإسلام، وما أظن هذا يخفى على أبي الفتوح، ولكنها الأهواء تعمي وتصم .

الطرة 3 :

فاتحة الرسالة وما حشاها به من سباب وشتائم وأكاذيب سيعيدها ويكررها مرارا إلى حد الإملال، لأنها كلُّ ما في جعبته، والمضحك أنه عزا ذلك إلى أننا نأخذ العلم من الكتب والمجلات، بينما هو زاحم الشيوخ بالركب والسماعات، وهو في نفس الصفحة (3) لم يقم بيتا سائرا من الشعر، وله من هذا الكثير من اللحن الفاحش، وكسر أبيات الشعر مما يدل على إفلاسه، وقد أحصى الأخ (بدر) في (وقفاته) بعضا منها، ومع هذا لم يستح من مهاجمة الشيخ المغراوي على خطإ وقع منه في أول تقديمه، فكان كما يقول المغاربة في أمثالهم (عْجُوزَهْ قْبْضْتْ سارقْ) .

الطرة 4 :

قوله : إنه لما أعاد قراءة رسالة "تنبيه القاري" بعد ذهاب الغضب، ازداد يقينا، أن الفاري –بالفاء من الفَري وهو القطع– قطع الله أوداجه– ليس له من تلك الرسالة إلا النقل عني، وأنا الذي كتبتها، وجزم بأن الأخ أبا سفيان لم ير كتب الشيخ لا المطبوع منها ولا المخطوط، (هكذا، كأن كتب أبي البيض بالمرّيخ حتى المطبوع منها)، ثم صَبَّ جام غضبه على شيخه العلامة الأديب الشريف أبي أويس –بالأمس– والخائن الكذاب الذي قلب ظهر المجن لشيخه، ومُوجده من العدم، والمنعم عليه بكل شيء، كما يقوله أشقاء الشيخ وأعداؤه عليّ، عاملهم الله بما يستحقون، ثم ما هذه الأسرار التي ائتمنني عليها الشيخ أيها الجهول الإمّعة ؟ والحق أن الأسرار التي كان الشيخ يأتمن عليها ذنبه الأجرب ووارث شره –بالشين المعجمة– هي ما كان يراسل به شيخك أبو الفتوح أبا البيض من فضائح رشّحه لها وأوصاه بالإخلاص فيها وإخباره بكل شاذة وفاذة مما يتعلق بإخوته الثلاثة، وقد قام أبو الفتوح بهذه المهمة شر قيام –كما هو موجود عندي بخط الشيخ–

متجاهلا أنها نميمة، وأن صاحبها لا يدخل الجنة[1]، وقد حذرته أنا منها وهو معي في بيتي فصارحني بأنه لن يتخلى عنها، وأخبرني الدكتور إبراهيم أخو الشيخ أن رسائل أبي الفتوح عندما كانت تصله وهو بالقاهرة يُعاني من مرض القلب والسكري والضغط، كان ينتكس في مرضه، والأطباء يُوصونه بأن لا ينفعل، وهكذا كان أبو الفتوح يسعى في هلاك شيخه ليخلو له الجو لدعوى المشيخة، وهكذا كان، فما مضى على وفاة شيخه إلا قليل حتى قام (بثورته الروحية)، وأعلن وراثة الشيخ، وصاح وتحامق : (جددوا عليّ)، فنجح بدجله وشعْوذته في وسط معروف بالغفلة والحمق بشهادة المؤرخين ؛ إلا أنه بعد قضاء غرضه، عدّل من سلوكه، وأنكر كثيرا مما كان يمارسه، ووجّه وجهته نحو السعودية، وهذا كما قال شيخنا الألباني طيب الله ثراه عن الشيخ عبد الفتاح أبي غُدة : (تغيير شكل، من أجل الأكل)، ألا يستحيي من هذه حاله أن يصف الناس بما هم براء منه .

ثم استسمح المؤلف عزنان سادته أن يُولّوه سَرَف (بالسين المهملة) الرد، ويؤثروه بفضيلة الكذب والبهتان، والعدوان والطغيان !! ففعلوا، وواصل القراءة .

ثم استسمح عزنان الفاري على ما في رسالته من الفسوة ؛ بل القذف بالباطل والبهت والزُّور، وأنه ارتكبه عملاً بآية : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم)، وهو يعلم أن الاستدلال بهذه الآية على عدوانه ووقاحته هو، لا يصح، لأنها تتعلق بمن ظُلم بالبناء للمجهول وهو أبو البيض، إن كان هناك ظُلْمٌ لغة وشرعا، والحق أنه جهاد في سبيل الله وتجريح من لا يجوز السكوت عنه، وقد ألف شيخ أبي الفتوح وشقيق المؤلف وعدوُّه الألد، الذي كتب عليه ما يستحيي من ذكره، وربما أذكر بعض ذلك، عبد العزيز : (وثبة الظافر، بصحة

[1] روى البخاري في صحيحه [5596] عن حُذَيْفَةَ مرفوعا : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ" .

حديث "أَتَرِعُون عن ذكر الفاجر) وتمامه : هَتِّكُوه يحذره الناس، وهو حديث ضعيف، لا كما زعم عبد العزيز، وهو لم يؤلفه ذبا عن الحديث وإنما فعل ليتكئ عليه في ثلب عرض أخيه وشقيقه وولي نعمته، وكنيته بأبي الغيظ –بالغين المعجمة والظاء المشالة–، ونسبته إلى بني سعيد[1]، ووصفه بفرعون التجكانيين، بل حمله الغيظ والبغض إلى وصف والِده بالغفلة في حكاية مع (بوحمارة) عندما زار طنجة، وقد أودع هذه الفضائح وغيرها كتابه (السفينة المشحونة) التي جمعها مضاهاة لشقيقه مؤلف (جؤنة العطار) كما نفسها عليه شقيقه الآخر عبد الحي، فألف (المجتبى) في مجلد، وعندما وقفت على هذه الكتب استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وأنشدت قول الشاعر : [البسيط]

لقد حَكَيْتَ ولكنْ فاتَكَ الشَّنَبُ

ثم ذكر عزنان أنه سمى رسالته (نهج السداد والتوفيق، في دحض افتراآت المفترين على الشيخ أحمد ابن الصديق)، ولكن شيخه وقدوته غيّر اسمها إلى (دفاع عن كرامة وعرض ...) .

[1] وهي نسبة فيها قدح ، لما اتصف به أهل هذه القبيلة من طبائع فاسدة ، وأخلاق غير مرضية ، أجملها الفقيه العلامة الأديب مفضل أزيات في قصيدة هجا بها أهل قبيلة بني سعيد ، افتتحها بقوله : [البسيط]

بنـــو ســـعيد لأهـــل البغـــي واســـعة ... و لـــــذوي العلـــــم دار الضـــــنك والضـــــــــــــــــــيق

فمـــــا بهـــــا ســـــكن لعـــــالم لا ولا ... لفاضـــــل لا ولا مـــــأوى لصـــــدّيق

أقوامهـــــا همـــــج ، أفعالهـــــا قمـــــج ... أحوالهـــــا سمـــــج ، إنتـــــاج زعبيـــــق

قلت : وحقه أن يسميها (نهج الحِداد والتلفيق ...) حتى يكون هناك انسجام بين المحتوى والعنوان.

الطرة 6 :

في ص 6–7 ذكر عزنان ترجمة الشيخ، وقد ضخم بها حجم الرسالة، لأن ترجمته معروفة على بلايا فيها، من ذلك نقل عزنان عن شيخه —و أَكْرِمْ به من شيخ– الزنيم المقبوح، الأنوك المتعالي، محمود سعيد ممدوح، وهو من أسماء الأضداد، أنه –أي أبا البيض– حافظ بشهادة جَمْعٍ، وأنه امتاز عن الحفاظ بالأمالي الحديثية، والمستخرجات، وأنه كان يملي بجامع طنجة ثمانين حديثا هكذا بالضبط الخ . وأقول : بأن محمودا المصري وتلميذه عزنان لا يعرفان الشيخ ولم يرياه، فكيف ينقلون عنه ما لا علم لهم به عمن لا يعرفونه، والواقع أن أبا البيض لم يكن كذلك تماما، ولكثرة مخالطته لكتب الحديث كان كغيره من علماء الحديث المعاصرين يستحضر متونا متداولة من أحاديث الأحكام، ومن الطرائف ما كنت أسمعه بمصر والشام والحرمين من بعض الأغرار الذين لا علم لهم كمحمود وعزنان أن أبا البيض كان يستظهر الصحيحين معاً، وبعضهم يقتصر على صحيح البخاري، فكنت أرد عليهم بأنه لو كُلف سرد كتاب واحد من كتب الصحيح عرضا لما استطاع، وأماليه كان يتكلّف لها ويعاني حفظ أسانيده النازلة، ولا يبلغ هذا نحو عشرة أحاديث إلى عشرين، أما ثمانون فأجزم جزما قاطعا أنه لم يفعل ولا يستطيع، وأحسن الإخوة إلقاءً وأكثرهم حفظا الشيخ الزمزمي رحمه الله، أما الثلاثة الآخرون، فعبد الله كان ألثغ تقريبا يشق عليه الحفظ والكتابة، وعبد العزيز لم يستطع قراءة حديث أبي مسلم الخولاني وهو من أحاديث الأربعين النووية، وأنا معه بدار الحراق بتطوان ؛ بل لم يكن يحفظ القرآن ولا نصفه، وأعجز منه في هذه

الناحية الأصولي المنطقي !! عبد الحي، ثم إن الأمالي والمستخرجات لا فائدة كبيرة فيها، وإن كان لها اعتبار فقبل ظهور المطابع كحفظ الأسانيد، والمستخرجات إيراد أسانيد نازلة جداً من المؤلف إلى شيخ المستخرج عليه بطريقة مملة جداً، وقد فُرغ من هذا النوع من الحديث بما أُلف فيه من مستخرجات على الكتب الأمهات، فهذه لقدمها يستفاد منها في تقوية الحديث وجمع ألفاظه، وقد أطلعني الشيخ على (وشي الإهاب) عشية قدومه طنجة قادما من سلا بعد خروجه من الاعتقال، فإذا هو في ثلاث مجلدات ضخمة كلها أسانيد لا تتخللها فوائد ولا علم إلا نادرا، أما عن سلوكه وأخلاقه ووطنيته وثورته ضد الإسبان، فالحاضر (كبوخبزة) يرى ما لا يرى الغائب، فإن الشيخ كان منقلبا، فهو مع الإسبان كغالب أقاربه ما داموا يُعطونه، وقد ذهب إلى إسبانيا ولقي الجنرال فرانكو مهنئا بعد الحرب الأهلية فأهداه هذا سيارة، باعها بسبتة، وقد حدثتني حَماتي وهي شقيقته، أنه أقام مأدبة كبرى للحكام الإسبانيين اشترى لها خمسين صحنا من الخزف الصيني الرفيع، وظل النساء يصنعن الحلويات أياما عدة لإطعام الكفرة المستعمرين، والغريب أنه لم يحضر لمأدبته المقيم العام، وإنما حضر الحكام المدنيون، وقد تمخضت تلك الحماقة التي زعمها جهاداً وحرب عصابات عن مآسي ذهب ضحيتها ناس، وعُذب ناس، ونالني من رشاشها، ولم يرض الشيخ الزمزمي بما يفعل شقيقه فهاجر إلى تطوان، أما حرصه على إحياء السنة، ومنها خُروجه حافياً بطنجة فهو من آثار عين (برقان) التي ذكر المؤرخون أن من شرب منها اختل عقله[1] ،و هذا كثير في تصرفات الشيخ، ومما لا يعرفه عزنان وشيخه مقبوح أن

[1] **قال في الروض المعطار 1926 : وبخارج طنجة عين ماء طيب يسمونه : بَرقال ، ويقال : إنه يحدث الحمق لشاربه ، فهم يعرفون بذلك ، فيقال لمن تهافت منهم : شربت ماء برقال ، لا جناح عليك ، وقال الشاعر :**

الكتانيين –وهم أصدقاؤه الخُلَّص– كانوا يقولون عنه بأن علمه أكثر من عقله، أما ما ذكره المؤلف من خصائص الشيخ التي لم يتصف بها أحد من (المتمسلفين) يعني أدعياء السلفية : أنه لم يأخذ أجرا على الإملاء والتدريس، ولا أدري مستنده في هذا التعميم، وأنا أعرف الشيخ ناصرا الألباني طيب الله ثراه يسافر للدعوة إلى السنة والتوحيد إلى عدد من المدن بسورية ولبنان والأردن والسعودية، ويعقد دائما جلسات للحديث والتفقه سُجل كثير منها في مآت الأشرطة، ستُفرغ قريبا وتطبع إن شاء الله، وكل هذا حسبة لله، وهذا خصمك وشيخك ومجيزك ومفيدك رغم أنفك (بوخبزة، لا بونبزة) كما سأحاسبك عليه قريبا، سعى مع إخوانه في بناء معهد الشاطبي لتحفيظ القرآن وتدريس علومه بتطوان، ومنذ ثلاث عشرة سنة ونحن نُدرس أنا وأبنائي أويس والمعافى حسبة لله تعالى، فلماذا تهرف بما لا تعرف، على أنه من الحلال الطيب أن يتقاضى الإنسان مساعدة قليلة من الأحباس للخطابة والوعظ، بدل (الفتوحات والزيارات) التي يستولي عليها شيوخ الزوايا، وأرباب المصائب والرزايا، بطرق الكذب والشعوذة، ودعوى الولاية والكرامات المزعومة، والمنامات المعدومة، على أنه ما أسِّست الزوايا وبنيت إلا لابتزاز ضعفاء العقول، واستغفال الأبرياء، وهذا الشيخ الزمزمي وهو من أبناء الزاوية ألف كتابا مثيرا سماه : (الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة) وهو مطبوع، وأنصح عزنان بقراءته، وفيه حكاية الشيخ الزمزمي عن شقيقه أبي البيض أنه رقص مرة في الزاوية وتواجد حتى سقطت عمامته التي بيعت بعد الفراغ من (العمارة) بخمس مائة ريال حسنية، اشترى بها الشيخ دارين، والعمامة لا تساوي (بصلة)، لأن صاحبها ليس بأهل للمشيخة ولا أن يكون مقدما للزاوية ... ولكن المتصوفة

بطنجة عين ماء وسط رمل لذيذ ماؤه كالسلسبيل
خفيف وزنه عذب ، ولكن يطير بشاربيه ألف ميل

جهال لا يعلمون، على حد تعبيره[1]، فهل هذا حلال أيها الأفاك الإمعة ؟ وهذا شيخك الأثير أبو الفتوح بُعيد وفاة شيخه أبي البيض خرج مع ثلة من مريديه من أنعام البشر للسياحة وزيارة الأضرحة، والدعوة إلى نفسه، فكان يُقيم (العْمارة) في كل ضريح مشهور ويجتمع الناس ويشرع في الدعاء لكل من يقدم (فتوحا وزيارة للشيخ)، وحدثني الحاج عبد السلام الذيب الخُمسي وكان معهم أنه اتصل به رجل ومعه زوجته بضريح (بوسلهام أو بويعزى) وطلب منه أن يأذن الشيخ في تخطي الفقراء على امرأته العروس لأجل أن تحمل مقابل هدية مغربية، قال : فاستأذنت أبا الفتوح فأذن، وتمدّدت المرأة على بطنها، وأخذ البهائم يتخطونها، وأخذ الشيخ الفلوس، وذهب الرجل الديوث، وهكذا استمر الشيخ في دجله وشعوذته إلى أن استوى على عرش المشيخة، وتزاحم الفقراء على التمسح به وتقبيل يديه ورجليه، فهل هذه حال سنية ربانية أم شيطانية ؟ وهل ما يجنيه هو ومشايخه من المال بهذه الوسائل حلال !؟

يا أُمَّةً ضَحِكَت مِن جَهلِها الأُمَمُ

الطرة 7 :

ثم عقد عزنان فصلا (ص 9) في ذكر أقوال العلماء في الشيخ، ومعلوم أن الجم الغفير من الأئمة والعلماء قديما وحديثا يتعرضون للمدح والقدح، ولا تكاد تجد واحداً منهم أجمع الناس على مدحه، والشيخ ليس بدعا من الناس، فقد غلا في مدحه بالحق وبالباطل من أخذ بظاهره، واغتر بكلامه ومؤلفاته، ومنهم من

[1] الزاوية 74 .

اعتدل وتوسط، ومنهم من أفرط وظلم، والدكتور الهلالي رحمه الله كان يثني على علمه وسعة اطلاعه، وقد تحدث عن هذا في كتابه (الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة)، أما عقيدة الشيخ وسلوكه فقد سُئِل عنها عقب رجوعه من مأدبته التي أقامها الشيخ له بطنجة إلى تطوان، فقال كلمته الشهيرة بمدرسة لُوقَش عنه : عالم الدنيا أفسدته السُّبحة .. أي : التصوف، وصدق رحمه الله على ما في قوله من مبالغة، وما نقله عزنان عن عبد الباري بن الزمزمي أنه سمع الهلالي يقول : بلغ أحمد بن الصديق في علم الحديث درجة الإمام أحمد بن حنبل، كذبة صلعاء لا يقولها عاقل، وكيف يقول الهلالي هذا وهو يعلم أن الإمام أحمد جمع مسنده وطوّف عليه الأرض حتى بلغت أحاديثه قرابة ثلاثين ألف حديث، كما هو في الطبعات الحديثة المرقمة، وأن تلك الأحاديث كلها كانت نُصْبَ عينه، وأن الإمام الشافعي وهو إمام أبي البيض ومختاره من الأئمة عقودا من السنين، كان يرجع إلى الإمام أحمد ويسأله عن الحديث ويقول : إذا صح عندكم فأعلموني به لأذهب إليه، فهو والحالة هذه بالنسبة لأبي البيض وجود مع العدم، ولكن لا غرو، فإن أبا البيض ولغ في عرض الإمام ووصمه بالبلادة، وعداوة الصوفية، والنصب كما ستراه إن شاء الله في فصول (الصحيفة)، أما كلمة السيد عبد الرحمن بن الباقر الكتاني فيكفي في ردها قراءتها، وهو كسائر الكتانيين يُلقون الكلام على عواهنه، وشعارهم في ذلك كما يقول أهل فاس : (اللّي ما فيهْ صايَرْ كْثَّرْ منه) هذا بالعامية، ومقصودهم بالفصحى : (كَثِّرْ مما لا نفقة ترجى من ورائه)، وقد سمعت من بعضهم أن أبا البيض علمه أكثر من عقله، والواقع أنهم لم يكونوا يعتقدون فضله بهذه الدرجة، وإنما كانوا يجاملون لحاجة في أنفسهم، والألفاظ العربية تفقد مدلولها الصحيح عندهم كما تراه في كتب أبي البيض في تراجم والده وجده،

وكلمة فَنيدة (بشرى الحديوي) التي حققت بَلْ شَوَّهَتْ (حُصول التفريج)[1] أنها سمعت بلا فْريج ينقل عن شيخه الألباني أنه ما كان يصف أحدا بالحافظ إلا أبا البيض، فالسند ضعيف ؛ بل منكر، وأنا تلميذ الألباني، وقد ذاكرته طويلا في شأن الغماريين، وقد تعرض في كتابه الممتع (تحذير الساجد عن اتخاذ القبور مساجد) لأبي البيض ووصفه وصفا صادقا فهو المعتمد، ثم لماذا لا يعتمد عزنان زُحار شهادة أبي البيض للألباني بأنه من الأفراد في علوم الحديث، وأنه كان يتقنه جداً جداً كما كتبه بخطه إليَّ على قلة إنصافه مع معاصريه[2]، والعجب من وصف شيخه إمام السَّقا له بالمهارة في النحو، وفرط ذكائه وسرعة إدراكه له، وهو مع ذلك لُحَنَة، وربما جمعت من لحنه المتكاثر ما يُغَبِّر في وجه هذه الشهادة، ويُلغي بركة والده، ومن الإنصاف الاعتراف بتقدم شقيقه عبد الله عليه في هذا المجال، فلا تجده يلحن أبدا، مما يؤكد أنه مؤلف شرح الجرومية "تشيد المباني" المطبوع الذي نازعه فيه أبو البيض[3]، وليس له فيه إلا الإسم، ثم ذكر عزنان أبياتا من الشعر، ومنها أبيات لي مدحته قبل أن أتوب إلى الله، قال : وقال درقاوي خائب . كما سبق أن قال أيضا عند الإشارة إلى الرائية التي أعلنت فيها توبتي من الزاوية،

---

[1] ومن فواقرها ما علقت به على قول الحافظ السخاوي : (و لأجل هذا وما يشبهه انتقد ابن الناظم – يعنب : أبا زرعة– وشيخنا – يعني : الحافظ– ..) فعرفت ابن الناظم بابن صاحب الألفية في النحو وشارحها ، ولو تأملت سياق الكلام بروية لعرفت فساد زعمها وتحكم جهلها ، لأن السياق يتكلم عن مسألة من مسائل مصطلح الحديث لا مسائل النحو هذا أولا ، وثانيا : أن المؤلف أوضح وبين من هو ابن الناظم حين ذكر كنيته في قوله : يعني : أبا زرعة . وابن الناظم النحوي كنيته : أبو عبد الله . ثالثا : أن السخاوي يشرح ألفية المصطلح للعراقي ، فكيف يقصد بقوله : ابن الناظم ، غيره . إذن ، فالمقصود من ابن الناظم : أبو زرعة ولي الدين أحمد بن زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الحسين العراقي صاحب كتاب "تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل" .

[2] رسالة بتاريخ 29 صفر 1380 هـ . وقد أوردها الكرفطي في در الغمام الرقيق فلتنظر 191 .

[3] انظر البحر العميق 17/1 .

ونشرها مصطفى أبو سفيان في طليعة كتابه العُجاب (تنبيه القاري)، وأنا أسجل اعترافي بمدحي لأبي البيض قبل أن أعرفه، وأقف على فواقره، لا كما قال عزنان الخائب بحق، خَيَّب الله سعيه، وعجل نعيه، بأنني قلت هذا قبل وثبتي على الشيخ لا لداع، والحق أن الوثبة المسدّدة كانت لدواع عدة، وهي البوائق التي أفردت لها هذه (الصحيفة) .

الطرة 8 :

ثم أفرد عزنان زُحار فصلا لكلام غير العلماء في الشيخ، وهو فصل (لا محل له من الإعراب) لأنه لا علاقة له بالترجمة، بل أولئك الذين نظّر عزنان بهم في الموضوع هم في الواقع أعداء لُدّ للشيخ، ولو كان حيا لبَسَرَ وعَبَس في وجه عزنان الإمعة لذكرهم معه، وطرده من بيته، وبصق عليه، وإلا فكيف يذكر الكوثري، وهو وتلميذه أحمد خيري باشا المصري وعزت العطار الحسيْني نشروا بالقاهرة مناشير يلمزون فيها أبا البيض بالأُبنة واللواط والسّكر وما إلى ذلك، وقد وقعت بيدي هذه المناشير، وأخذها الأخ بدر العمراني، وكتب عليها ردّا سماه : كشف المستور، عما تضمنه هذا المنشور . والقرضاوي، ومحمد سعيد رمضان البوطي الكُردي (لا رمضان فقط فإنه أبوه)، ومتولي الشعراوي، وعبد الفتاح أبو غدة، يحسن أن يراجع عزنان فيهم شيخه أبا الفتوح لنعرف موقفه منهم، فإنهم بلا شك من دعاة الضلال، وكلمات أبي غدة في نقد الألباني أرسلها إليّ واعتذر عما فيها، ورجا مني أن لا أشيعها، وقد رد عليها الألباني برسالة مطبوعة سجل فيها حقائق ينبغي الاطلاع عليها عن صوفية الشام، وأحنافه، وفرط جهلهم، وبالغِ عدائهم للسلفيين، حفظهم الله ووفّر جمعهم، وكبت أعداءهم .

و أشار عزنان قبل ذلك إلى أن (تنبيه القاري) من إملائي على مصطفى، وهو ترديد لكذب فارغ فرغنا منه، كما أشار إلى وطنية أبي البيض وأبيه، ولا أحب أن أتناول هذا الموضوع وعندي فيه وثائق تدفع المنكر، وتُفحم المعاند، وكذلك جاسوسية الشيخ عبد الله التي ورَّط فيها نفسه واعترف بها، وكانت سببا في محنته، ولنا فيها مواقف يعرفها أبو الفتوح نتركها الآن، وقد سجلها التاريخ الذي لا يرحم، نسأل الله العافية .

الطرة 9 :

ثم عقد عزنان فصلا في أقوال العلماء في التحذير من الكلام في أعراض العلماء، وهو كالفصل السابق لا داعي إليه إلا تضخيم حجم الرسالة، ولا نزاع في تحريم الغيبة وأنها من الكبائر، إلا أن العلماء ذكروا لها مُسوّغات معلومة، منها جرح من يستحق التجريح نصحا وذبا عن الدين قالوا : وربما كان ذلك واجبا حياطة للدين، وذبا عن السنة وانتصارا للحق، وقد سئل الإمام أحمد عن الرجل يكثر من الصلاة والصوم والحج وغيره من نوافل الخيرات، وغيره لا يفعل من ذلك شيئا إلا أنه ينصر الحق ويحارب البدعة وأهلها، فأجاب الإمام : أن فعل الأول لنفسه، وهذا للمسلمين نصيحة . وقد نقل عزنان عن ابن رجب كلاما طيبا في الموضوع، وكذلك عن ابن عبد البر، وقال بعده(ص 16): فكيف بربك لو سمع ابن رجب بهُراء الفاري، في الحافظ الغماري ؟ فكتبت أنا عليه بالهامش رداً عليه : وكيف لو سمع ابن رجب كلام الغماري فيه، وفي شيخه ابن القيم، وشيخه ابن تيمية، وتلاميذه الأبرار، كالذهبي، والمزي، وابن كثير، وابن عبد الهادي، وأضرابهم، وتصريحه بضلالهم، وأنهم أصابوا الإسلام في مَقاتِله، وأنه ما ضل من ضل إلا بقراءة كتبهم، ولا سيما إمامهم شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه قاء ما في صدره من

القيح والصديد ذما وسبا وشتما، لم أعرف عن غير أبي البيض أنه بلغ من الكراهية والبغض ما بلغه حتى لليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، وهو يكرر ذلك اِلتذاذاً وتشبعاً بمناسبة وبدونها، ويدعو عليهم بقوله : قبحها الله من عصابة، ما عدا المزي فإنه غلا في حبه فجأة وهو يعلم أنه من كبار تلاميذ ابن تيمية، وهكذا الرجل ذو أحوال شيطانية، وأهواء إبليسية، وقد بسطت في فصول (النصيحة) شتائمه ومطاعنه في ابن تيمية، ولم أستوعبها فراجعها لتعرف أي جريمة اقترفها أبو البيض في حق أولياء الله حقا الذين جاهدوا في الله بالكلام والقلم والسيف والسنان، وأوذوا في نصرة الحق على يد متعصبة الفقهاء، ومبتدعة الصوفية المسؤولين عن ضياع دولة الإسلام ومجده، ونشر الضلال والابتداع وحمايته في ربوع العالم الإسلامي يومئذ . ومن ذلك التاريخ والمسلمون يخبطون خبط عشواء في ضلالة عمياء، لا يرفعون للحق رأسا ولا يهتدون سبيلا . إن هي إلا الزوايا والسماع والرقص والشطحات ،و صُحبة المردان ،و مخادنة النسوان،و مشايخ الفتنة والضلال يخبون ويوضعون في نشر الخرافات، واعتماد المنامات ولم يفِيقوا إلا وأمم الغرب الكافر تطرق أبوابهم، وتستولي على أوطانهم، وتذيقهم ألوانا من الذل والصغار، ولم ينفعهم معها أقطابهم ولا أغواثهم المتصرفون في الكون، وقد تعامى عزنان عن هذا كله، وراح يتكلم عن التكفير وأحكامه، وهو في هذا يهرف بما لا يعرف، لأن تلك المسائل معروفة ولا علاقة لها بالرد على الغماريين الضالين المضلين، الذين أفرزتهم عصور الظلام الدامس الذي أطبق على المسلمين، والتاريخ لا يرحم، وقد سجل بمنتهى البسط والبيان ما جرى خلاله من الحروب المذهبية بين الحنفية والشافعية، وكم سفكت فيها من دماء، بَلْهَ السنة والشيعة، فإن العداء المستحكم والقتال بينهم كان وما زال مستحرا بالعراق وباكستان وإيران إلى الآن، وما يجري الساعة في العراق من حرب إبادة للسنة، وهدم مساجدهم، وهتك

أعراضهم، وقطع رؤوسهم، مستعينين بالصليبيين من دول التحالف وعلى رأسهم أمريكا، والأكراد المجرمون، لا يكاد يجهله أحد، ومع هذا فإن إمامكم أبا البيض كان يضمر للروافض كلّ حب وتقدير، ولا أعرفه تعرض لهم بنقد أو بسَبٍّ، بل كان يُشيد بمذهبهم، ويقرظ كتبهم المنتنة كشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، وكتاب" الألفيْن، الفارقة بين الشك والمِيْن" للحلي صاحب منهاج الكرامة الذي دمّره ابن تيمية رضي الله عنه بمنهاج السنة، الذي يُعد غرة في جبين كتب العقيدة والانتصار لها، والذي يسميه الغماريان أحمد وعبد الله : منهاج البدعة .

الطرة 10 :

ثم ذكر زعنان فصلا في نقد تقريظ المغراوي لكتاب (تنبيه القاري) وأشار إلى خطأ نحوي وقع من الشيخ سبق قلم، لأنه لا يقع في مثله صغار الطلبة فضلا عن مثل الشيخ، وأطال في النقد كما أشرنا قبل غافلا عما يقع منه من لحن فاحش متكرر، وأخطاء في التركيب، وركاكة في الأسلوب، وجهالة بالنظم، حتى إنه لا يكاد يُقيم بيتا، وهو في هذا كشيخه أبي الفتوح[1] الذي بشره شيخه أبو البيض في تعبير رؤياه، التي هي من الأضغاث، أنه سيفوق الحراق شعرا وزجلا، وأذَّكِر عزنان

[1] يلحن أيضا ، ومن لحناته ، ما وقع له في تقديم رسالة "الأجوبة الصارفة" ، قال : ولذلك فإن (كذا والصواب : فإني) أختار ما قاله الإمام النووي رحمه الله تعالى بأنها مفرقة في الأمة ، من مفسرين ومحدثين وفقهاء وزهاد ، ومجاهدون ومربون وغيرهم ... ص 4 . قلت : والصواب : ومجاهدين ومربين . بالجر للعلاقة الرابطة بين التابع والمتبوع . وكذلك جل شيوخ عزنان المذكورين في ترجمته ، نذكر منهم : المقبوح المصري الذي قال في كتابه "التعريف" : .. أظنك قائل : ألف ألف أو يزيد ... 364/1 قلت : وهذا لحن جلي ظاهر ، والصواب : قائلا ؛ لأن ظن وأخواتها تنصب مفعولين . وهذا يعرفه صغار الطلبة . وكذلك العساف ، قال في تناقضاته : وقد بيّنا أن للحفاظ والمحدثين كلام في حماد ... 302/3 . قلت : والصواب : كلاما ... إذن اللحن سجية وطبع لديهم . عافانا الله بمنه وكرمه .

بأن أبا البيض كان لحّانة، وقد عثرت في كلامه على الكثير من ذلك[1]، فهو الأولى بالنقد من رجل فرطت منه لحنة، وألْفت نظر البْريجي إلى (وقفات) بدر، وقد لاحقه معدّدا عليه أغلاطا وأخطاءًا[2] ؛ بلْه أكاذيب وفضائح جره إليها حظه السيء معنا .

الطرة 11 :

لم أشأ أن أتعقب مُحْدِث البيضاء والبْريجة في كل أخطائه، لأن ذلك يطول، ولا تخلو صفحة من صفحاته 172 من نبز ونبز بمناسبة وبدونها، ولكني سأقتصر على بعضها، فبعد أن شفى جواه من المغراوي التفت إليّ بوجهه الجهم الوَقاح، وحمل علي لأني وصفت أبا البيض بالرفض، وعني أخذ ذلك أبو سفيان وشيخه، وأنا لم أصف أبا البيض بالرفض، وإنما قلت في رسالتي للشيخ حمدي عبد المجيد حفظه الله، وقد طلب مني ترجمة موجزة لأبي البيض، بأنه كان غاليا في القول بوحدة الوجود، (و كل الشر فيه، كما يقول الذهبي) وأنه يتشيع، ويقف على عتبة الرفض الخ، هذا ما قلته، وأنا والإخوان ننطلق في هذا من قول ابن أبي حاتم والإمام أحمد وغيرهم من أئمة السلف من أن الوقيعة في صحابي واحد كالوقيعة فيهم جميعا، وأنهم يعتبرون من فعل ذلك رافضيا[3]، ومعلوم أن أبا البيض كان يُعلن

---

[1] ودونك كتاب "البحر العميق" ، و"الاكتفا في تخريج أحاديث الشفا" ، ومن لحناته الواضحة الجلية قوله في البحر العميق : منها رواية أبو عمر بن مهدي عنه ... [السطر 4 من الأسفل . ج 188/2] ، وهذا للتمثيل فقط .

[2] وله أيضا مقالات مسددة في تعقب تخريقات (و لا أقول تحقيقات) عزنان ، نشرها في مجلة النور التطوانية . فلتنظر .

[3] بل الحافظ ابن حجر رحمه الله عد في هدي الساري أن الرفض هو مجرد تقديم علي على الشيخين دون سب أو طعن ، قال : والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة ، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو

بتكفير معاوية، وأبيه، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم ممن نسيتهم، ولم يكن بالتالي يقول بعدالة الصحابة كما أجمع المسلمون، بل سجل بيده، وخطه تحت يدي : أن أغلب الصحابة كانوا يبغضون عليا[1]، وهم بدلالة اللزوم منافقون لحديث (لا يحبك إلا مومن ولا يبغضك إلا منافق)، وقد نقل أبو البيض عن ابن حجر نقلا أساء فهمه، وزاد فيه أن العلماء حكموا بنفاق ابن تيمية –و حاشاه منه– لهذا الحديث، وقد حاول أبو الفتوح إنكار ذلك عن شيخه، وزعم –دفعا بالصدر– أنه لم يكن كذلك، وأطال في ذلك كذبا وتدليسا في رسالته التي كتبها لمريده الودراسي[2] الذي هو أحد ضحاياه، كما هو أحد ضحايا شيخه، ولا لوم على الودراسي الذي صرح بأنه يتبع شيخه في الرفض، وأنه إنما أخذ ذلك عنه وعن كتب أبي البيض، وهذه رسالة الرافضي ابن عقيل (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) وهبها أبو البيض لذنبه الذي صرح مؤخرا بأنه تخلص منها بالحرق، ولكن بعد خراب البصرة . وعبثا يحاول أبو الفتوح وزعنان التملص من هذا البلاء، اللهم إلا بالتوبة النصوح وإعلان البراءة الواضحة من هذا الفكر الموبوء وأصحابه عملا بآية (..إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) ولا يكفي في هذا نقل عن أبي البيض ناقض فيه نفسه، وتظاهر بالاعتدال، كما أنه لا يشفع لأبي الفتوح إخفاؤه لرسائله في المبشرات وترجمة شيخه بدعوى أنه لا يرضى عن بعض ما فيها[3]، بل الواجب المحتم العيني أن يبادر إلى إعلان توبته بمنتهى الشجاعة الأدبية،

غال في تشيعه ، ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي ، فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض ، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو . ص 459 .

[1] انظر الجواب المفيد 138 .

[2] طبعت بذيل كتابه "السنة والشيعة بين الاعتدال والغلو" .

[3] قالها في أكثر من كتاب ، انظر مثلا : ذكريات من حياتي 128 .

ويكتب ذلك في رسائل وبغاية البيان، ويصارح الأنعام البشرية الذين ما زال يعيش على عرق جبينهم وبالتدليس والتلبيس، ويوقف هرطقة السماع والرقص اليهودي، ويكف يديه ورجليه عن تقبيلهما والسجود له، ويقتصر على التعليم والتفقه في الدين، ولعله يفعل ونتمنى له ذلك، وندعو له بالهداية، وإن كنا نستبعد ذلك لرسوخ قدمه في الضلال، وأن عروق الشرك مازالت تعاوده وتبض في عقله، نسأل الله العافية .

الطرة 12 :

قال مُحْدِث (بضم الميم وكسر الدال مع التسهيل) البيضاء والبْريجة، العلامة الرويبضة (ص20) : وأين وجد المراكشي و(أبو نبزة) والفاري هذا –يعني الرفض– في كلام الشيخ الغماري الخ . وقد بينا مستندنا في وصفه بالرفض بكلام الأئمة، ولكني سأترك هذا الساعة لمنازلة هذا القاذف الرقيع الذي نبزني بتغيير كنيتي (بوخُبزة) إلى (بونبزة) وقد تكرر هذا منه، وهو يعلم –فض الله فاه، وسعد من جفاه، وحرمه نعمة الخبز، وضاعف عليه إثم النبز– أن هذا حرام لقوله تعالى : (.. ولا تنابزوا بالألقاب)، ولكنه حين ارتكب هذه الجريرة مستحلا لها، جعل لي السبيل للانتصاف منه، والرد بالمثل، امتثالا لآية (و الذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) وآية (و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) وقد أباح عرضه وتجريحه بما تبناه من نصرة البدع واعتناق الضلالة، والذب عن المبتدعة الضالين من الغماريين وغيرهم من العقلانيين، والروافض، والاتحادية، والأشاعرة، وليعلم أنني عمدت إلى اسمه (عدنان) فحوّلته إلى (عزنان[1] أو زعنان[1])، وإلى

[1] صفة مشبهة دالة على اللزوم والحدوث ، من مادة "عزن" بمعنى قسم وانظر لسان العرب 285/13 ، أي قسم مع الغماريين مصائبهم ومثالبهم ، فأخذ نصيبه وحظه من الشر والوزر .

(زُهار) فقلبته إلى (زُحار) بالحاء المهملة، وهو اسم مرض خبيث من أمراض البطن[2]، ومعلوم أن الأفارقة السود ينطقون الحاء هاءً فيقولون عن زُحار : زُهار، ثم إن كنية (بوخبزة) قديمة جداً، لأنها كنية جدي الأعلى أبي الحسن علي بن محمد العمراني الحسني دفين مجشر (أغبالو) بقبيلة بني عروس، وقبره به مشهور معبود من دون الله، وهو من أحفاد سيدي عمران بن خالد بن صفوان بن يزيد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد فر من وجه الطاغية موسى بن أبي العافية عامل الأمويين بالمغرب الذي كان يتتبع الأشراف الأدارسة، بالقتل والتصفية، وتردد مستخفيا بقبائل الهبط إلى أن توفي بقبيلة بني حسان، وقبره معروف قرب (الجامع البيضا) كما ذكره الكتاني في ترجمته من "سلوة الأنفاس"، وسلسلة نسبنا معروفة محفوظة برسوم الأنكحة وغيرها، هذا هو المكنّى (بوخبزة) وأبناؤه منتشرون بقائل بني عروس، وبني يدر، وجبل حبيب، وغيرها، وقد نص النسابون : ابن عرضون، وسليمان الحوات، والمسناوي، والقادري، والفضيلي، وابن الصادق الريسوني، وابن رحمون، وأثبت نسبهم النقيب أحمد ابن عبد الوهاب في الكناش الإسماعيلي، وكناش المولى محمد بن عبد الله، ولم يشر أحد من هؤلاء إلى مطعن فيه، بخلاف نسب شيوخك الغماريين، ونسب شيخك الذي شحنك حقدا وبغضا للأبرياء من الأشراف الخُلّص، أبي الفتوح لا فتح الله عليه إلا أبواب الشر والفتن، هذا نسبي من جهة الأب، أما الأم، فهي شريفة علمية من بني عبد الوهاب التيديين، فأنا –رُغم أنوفكم– شريف النسبتين، وشيخ الطريقتين، كما كان يوصف إدريس

[1] صفة مشبهة دالة على اللزوم والحدوث ، من مادة "زعن" بمعنى مال وانظر لسان العرب 197/13 ، أي مال إلى الغماريين واحتمى بحماهم ، وجفا من عداهم .

[2] قال ابن منظور في اللسان 320/4 : تقطيع في البطن يُمَشِّي دَماً .

الحراق وغيره من الأدعياء كذبا، ولست —يعلم الله– أقول هذا اعتدادا به، واعتزازا بالنسب، وللعلم : إنني لا أولي هذا اهتماما ؛ بل كل اهتمامي واهتبالي بالعقيدة السلفية الصحيحة التي تلمزونها ب (الوهابية) حرمكم الله خيرها ونفعها، لأنكم ناصبتم أهلها العداء . وصرح زعنان زُحار أنه أشعري، ونوّه برموز الأشاعرة المعاصرين كأبي غدة، والبوطي، والشعراوي، وعبد الله الغماري، ومن إليهم، ولا أدري شيخه أبا الفتوح على أي دين هو الآن، ولنسأل المحْدِث البْريجي عن تأويل الصفات الخبرية وتحريفها المسمى "التأويل"، إلا الصفات السبع، واعتقاد الكلام النفسي الذي لا يُقبل، ولم يأت به عقل ولا نقل، واعتبار السؤال عن الله ب (أين) كفرا، وعن كون الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا هو العالم، وهذا وصف المعدوم كما قال أحد أساطين المماليك، وقد سمعهم : هؤلاء القوم أضاعوا ربهم ! وعن اعتقادهم خلق القرآن، وتصريحهم بأن هذا الذي نقرأه ونحفظه ونتعبد ربنا به، والمحفوظ بين الدفتين، والمقروء بالألسنة والمسموع المتلو، وليس هو القرآن الموحى، وإنما هو عبارة عنه، وأن هذا الموجود مُحدث، وأنه من إنشاء محمد أو جبريل، هذه مسألة كلام الله تعالى التي لأهميتها أُريقت الدماء وانتهكت الأعراض، وتفاقمت المحن، وسُمي بها (علم الكلام) وهذه عقيدة الأشاعرة والماتريدية، لا الأشعري رحمه الله فقد ألهمه الله التوبة، وأعلنها في كتبه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) و(الإبانة عن أصول الديانة) و(رسالة إلى أهل الثغر)، وهي كلها مطبوعة، وتتضمن عقيدة السلف الصالح التي تمسك بها أبو الحسن، إلا بقايا قليلة من رواسب الماضي، ولا تثق بأبي البيض الذي ضرب عُرض الحائط بكل هذا، وأصر على نعت أبي الحسن بالتجهم والاعتزال[1] عنادا وجهلا .

[1] انظر جؤنة العطار الجزء الثاني .

ثم تكلم زعنان عن مسألة التفضيل، وأنكر أن يكون أبو البيض ردّ قاعدة عدالة الصحابة وأنه يطعن في كوكبة شريفة منهم، ويعلن كُفْرهم ولعنهم، ويدعو إلى ذلك باللسان والقلم، ولذلك نعتناه بالرفض اعتمادا على حكم أئمة كبار السلف، وهو يستقي في هذا من شيخه ومُضلّه أبي الفتوح الذي حاول ستر الشمس بالغربال، نعم نحن لا نقول بأن أبا البيض كان يقع في الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ؛ بل كان يترضى عليهم، ويؤمن بخلافتهم، ولكن شيطان التصوف والتشيع والتقية لم يمهله حتى أفسد عليه عقيدته فزعم أن تلك الخلافة سياسية ظاهرة، وخلافة باطنية عرفانية ؟ ثم إنه مع اعترفه بالخلافة السياسية الظاهرية، كان يعتقد فضل علي عليهم وعلى سائر الصحابة، ويؤمن بالوصية وينعت عليا بالوصي كأسلافه الروافض، وهذا مثبت في كتابيه (جؤنة العطار والبرهان الجلي) وغيرهما، وهنا كلمة حكيمة هي كفيلة بتنبيه من انحرف مع توفيق الله وعنايته، وهي قول غير واحد من علماء السلف (كأيوب والدارقطني) : "من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار[1]". على عثمان فقط فكيف إذا تجاوزه إلى الشيخين !؟ وهي –كما ترى– كلمة فصل أصابت كبد الحقيقة، لأنها عقيدة الصحابة كلهم، ومن اعتقد غيرها فقد عاب الصحابة ورماهم بما لا يجوز من العناد، ومخالفة الحق، والاجتماع على الباطل، وحاشاهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وقمع من وقع فيهم وقلاهم، ثم أفاض عزنان زحار في الكلام على عقيدة أبي البيض، وأنها سلفية صرفة، واحتج بفصول من كلامه في بعض رسائله، ومنها رسالة –قال خيب الله ظنه، وأبكى سنّه : في رسالة خاصة إلى بعض تلامذته الخائبين –يعنيني– ما مفاده أنه يشيد بما أشار إليه الهلالي من قراءة

[1] البداية والنهاية 13/8 .

اجتماع الجيوش لابن القيم الخ[1]، وهذا تأييد أعرج، لأنه كان يؤمن ببعض الصفات الخبرية، ويذهب إلى التفويض، ولم يكن على علم بمعناه تماماً، وهو مناف لمذهب السلف المؤمنين بمعاني الصفات كلها، وإنما كانوا يفوضون في الكيفية فقط، علاوة على إيمان أبي البيض بأن المعية ليست بالعلم، بل بالذات، يعني –عامله الله بما يستحق– أن الله تعالى عما يقول موجود بذاته في كل مكان كيفما كان، حتى الحُشوش والمزابل، وأنه لا يخلو منه زمان ولا مكان ؛ بل يعتقد أنه سبحانه عن افتراء المفترين، وجهالة الجاهلين، عين المخلوقات ؛ بل كان يعتقد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاضر بنفسه في كل زمان ومكان، ولا يخلوان منه، ونسخ بيده رسالة للحلبي ما زالت بين كتبه التي باعها للإسبان بخزانة تطوان، وقد طبعت في ملزمة صغيرة بمصر يذهب صاحبها الملقب بنور الدين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الإنسان الكامل كما يقول عبد الكريم الجيلي أحد غلاة الاتحادية، الذي أغوى أبا البيض فتورط في هذا الوحل الوثني، وهو اعتقاد أن النبي هو أكبر مظهر إلاهي في الأرض، ولعل زعنان سمع من إمامه الدّعي أن أبا البيض كان من المهووسين المستهترين بوحدة الوجود، الدعاة إليها، والراقصين على أنغامها، الهائمين بتذوقها !؟ وسنبين هذا في فصله، فهل هذه عقيدة السلف الصالح، أم عقيدة إبليس وحزبه الذين يكيدون الإسلام، ويعملون على تخريبه من الداخل .

الطرة 13 :

ثم خلص مُحْدِث البيضاء زَعنان إلى مسألة بناء القباب على القبور، ورسالة أبي البيض المسمّاة (إحياء المقبور، بأدلة استحباب بناء المساجد والقباب على

[1] انظر الجواب المفيد 11 .

القبور) وقد تكفل الشيخ الألباني رحمه الله ورضي الله عنه بالرد عليها رداً غير مباشر، ونسف مبانيها المنهارة من قواعدها، وقد ألهمني صدورها منذ سنين إلى جمع اثنتين وأربعين حديثا وبعض الآثار الموقوفة في لعن البناء على القبور، والصلاة إليها وعليها، وبطلان الصلاة فيها، وذيلتها بكلمة مركزة في الرد على الشيخين أحمد وعبد الله، مع قصيدة في الموضوع، وقد طبعت الأربعون بالبيضاء مع تصحيف كثير، للأسف !! فلعل عزنان وقف عليها، وهو يغضب ويثور، حتى إذا سكت عنه الغضب أخرج من بين فرث الكفر ودم الإلحاد رسالة يُحاد بها الله ورسوله، ولعله يراجع شيخه أبا الفتوح فقد تغير اجتهاده فيها وفاء إلى أمر الله، وقد حاول عزنان أن يهون من المسألة، ويجعلها مسألة اجتهادية لا علاقة لها بالعقيدة، ولكنه لبلادته لم يفهم العلاقة، وهي كالشمس في رابعة النهار، لأن النهي واللعن والوعيد بِشَريّة الخلق، مُعَل بالفتنة بالمقبور، والتعلق به والاستغاثة به، كما هو واقع ملموس في مشارق الأرض ومغاربها، ولعله قرأ في إحياء مقبوره قول أبي البيض : إن الصلاة في الزوايا والمقابر أفضل من الصلاة في المساجد الخالية من القبور لافتقادها الشبه بالمسجد النبوي ؟ وهذا بلا شك من إلهام الشيطان له ولا يعرف عن غيره، وزاد أنه قال عن حديث أبي الهياج الأسدي المروي في صحيح مسلم أنه لا يصح أو أنه مؤول، هكذا[1]، وجاء بعده شقيقه عبد الله فألّف أوراقا سماها (إعلام الساجد، بمعنى اتخاذ القبور مساجد) زعم فيها أن الأحاديث المتواترة الواردة في الموضوع كلها غير صحيحة لمخالفتها للواقع، يعني أن اليهود والنصارى لا يبنون القباب والمباني على القبور، وهذا تكذيب علني منه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون حياء ولا دين، وإنكار للمحسوس، وهذه كنائس اليهود وبِيَع النصارى منذ قُرون مبنية على أنبيائهم وصالحيهم : بإسبانيا على قبر الحواري

[1] إحياء المقبور 57 .

يعقوب، وقبة الفاتيكان تبعث السهام لعينيْ المبتدع الوقح، وهي مبنية على قبر الحواري بُطْرس، وكنائس روما واليونان وفرنسا وغيرها من مدن أوربا القديمة، تقوم على سراديب تحتها مشحونة بالجثث والقبور للقديسين، وفي المغرب ثلاثة قبور لأولياء اليهود بوزان وخارجها والرشيدية ما زال اليهود يحجون إليها لعنهم الله وأخزاهم، فأين ذهب عقل الشيخ وعد الله عن هذا ؟

الطرة 14 :

ثم أشار عزنان، خيّب الله سعْيه، إلى مؤلفات أبي البيض وأشاد ببعضها، ومن نشرها من أثافي الضلال، ومنها (بيان تلبيس المفتري) الذي زعم أن الأخ علي بن حسن الحلبي، من أنبغ تلاميذ الألباني سطا عليه ونهبه (هكذا)، وادّعى أن شقيق المؤلف وعدوه اللدود أهداه للشيخ بكر أبي زيد الذي دفعه لعلي حسن فنشره، ولله دره، وعزنان هنا يهرف بما لا يعرف، لأنه لصغر سنه لا يعرف جلية الأمر، وهل في نشر كتاب من نسخة مهداة من شقيق المؤلف سطو ونهب ؟ من قال هذا لا يعرف معنى السطو الذي هو ديدن الغماريين إلا الشيخ الزمزمي، وعليه درج ذنبهم الأبتر أبو الفتوح، وأهمس في أُذُن عزنان –رماها الله بالصّمم– أن الأخ عليا الحلبي أعلم من الغماريين، وأرسخ قدما، وأعلا كعبا، وهذه آثاره مبثوثة بالعشرات رافعة عقيرتها بقول القائل : [الخفيف]

تلْـــكَ آثارنا تـــدلُّ علينـــا فـــانظروا بعـــدَنا إلى الآثارِ

مع اختلاف الغرض، وأن رصيفه المحدث المحقق مشهور حسن سلمان، يجر ذيول النسيان، على الغماريين وأذنابهم في هذا الشان، بلْه إمام المحدثين في ربوع

مصر أبا إسحاق الحُويني سَلّمه الله وأيده، وقد أحيا الله به رسوم الحديث والإسناد وذكرى الحافظ ابن حجر وتلميذه السخاوي رغم أنف المعاندين، فبعد وفاة أبي الأشبال الشيخ أحمد بن محمد شاكر لم يأت من يخلفه حتى أنجبت (حُوَّين) بالقرب من مدينة كفر الشيخ هذا العلامة الأحوذي الذي ثافن الشيخ الألباني ونفض كتبه، وسار على دربه، حتى شهد الشيخ بقوته، واعترف بإمامته، وأصغى إلى تعقباته، وهذه كتبه وتحقيقاته بالعشرات تشهد بشفوفه، وعلو كعبه، ولو اجتمع الغماريون ومريدوهم كأبي الفتوح والسقاف السخاف، والمقبوح المصري، والمسخوط المغربي، لم يستطيعوا الإتيان بغوث المكدود، أو بذل الإحسان، أو تنبيه الهاجد في ست مجلدات في التعقب على الحفاظ، ولو قارن زعنان وشيخه بإنصاف بين هذا الكتاب ورسالة (ليس كذلك) للمسا البون الشاسع بين الرجلين، وفضل الله لا يحجر، وقد كان أبو البيض وحيدا بالمغرب يصول ويجول، ولكن الله آذن بنسخ آيته، وظهور جماعة من أهل الحديث على رأسهم الإمام ناصر الدين الألباني، أنسوا ذكره، وعفوا على أثره باعترافه هو، وأحسن كتبه في هذا المجال (المداوي)، وقد قرأت بعضه مخطوطا بمنزل الشيخ بطنجة، واستنكرت حملته الظالمة على المناوي التي تجاوز فيها الحد، حتى إن شقيقه المغفّل عبد الله اعترف كما في مقدمة الطبعة[1] أنه حذف منها أشياء، والجدير بالذكر أن الكتاب وصل الشيخ الألباني وهو مريض، فلم يستطع مع الأسف تتبع أوهامه وأخطائه العلمية الكثيرة، ونبه على بعضها في مجلداته الأربعة الأخيرة من موسوعته الفريدة الرائعة (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة) ونقد صنيع أبي البيض نقدا علميا مسدّدا دون شتم ولا تجهيل، وقد كنت نبهت عزنان في آخر رسالة مني إليه أن يُعنى بكتب الألباني ويدرسها بجد حتى يعرف علوم

[1] المداوي 112/1 .

الحديث ويتذوقها إن كان أهلا لها، لو أراد الله به خيرا، ولكنه أصغى إلى الأبالسة، وجرفه تيارهم فاتخذوه بوقا يُجاحش عنهم، ويُحامي، ولكن الله تعالى قيضنا له، فنحن له بالمرصاد، نعيده إلى جُحره، ونعرفه قدرَه، وأنا أحمد الله كثيرا أن ألهمه حذف اسمي من قائمة شيوخه ومجيزيه، فأنا لا أحب والله أن أذكر مع الغماريين، فكيف مع مقبوح، والسقاف، والكرفطي، ومن يبصق على أسمائهم التاريخ، ويُعلن بالتنديد والتوبيخ ؟ وقد ذكرت بالمناسبة قول عزنان في إحدى رسائله إلى أن شيخه الدكتور الزنيفي البيضاوي قال له عن أبي البيض : من لم يعرف أحمد ابن الصديق فلا يلومنّ إلا نفسه، وقد ضحكت كثيرا لسماع هذه الأفكوهة، وأجبت قائلها في رسالة لزعنان بأن القائل لو عكس لأصاب، وأعني لو عرف إنسان أبا البيض ومذهبه وعقيدته وتابعه عليها فلا يلومن إلا نفسه، وقد أشار زعنان في أثناء كلامه عن رسائل أبي البيض أن شيخه الكرفطي جمع رسائل شيخه أبي البيض (إليه خاصة) وطبعها باسم (در الغمام الرقيق)، وهذا دليل على جهله وتسرعه وأنه لم يقرأ كتاب شيخه الذي نص في مقدمته أنه جمع معها رسائل لبعض الناس الخ، والواقع أنه سطا –أصاب الله يده بالشلل، وعقله بالعِلَل– على أكثر من عشرين رسالة علمية، دون استئذان ولا شكران، وزاد على ذلك تهديدي أخزاه الله ورد كيده في نحر

الطرة 15 :

و هذه أخلاق الصوفية، وتربية الزاوية، قطع الله دابرها (وَكْرُ الفُجور، ونَبْعُ زُور) كما قلت في قصيدة من الشعر الحُر نشرت قديما في جريدة (النور) بتطوان ،و إليك نصها :

oooooooooo

ثم أشار في نهاية الفصل إلى الرد على المغراوي الذي أشار إلى ميل المستشرقين والمبشرين إلى تأييد الصوفية والطرقيين، وأنهم مازالوا يُولونهم اهتماما خاصا الخ . وهي حقيقة لا ينكرها إلا جاهل غِرّ، ومعروف أن المراكز الثقافية في أوربا والعالم العربي لا تهتم غالبا إلا بكتب الصوفية العريقة في الكُفر والشطح، وقد طبعوا من ذلك العشرات ؛ بل لا تكاد تجد كتابا بهذا الشكل إلا وتجدهم طبعوه بأوربا، ويطول بنا القول إذا أردنا بسط الكلام فيها، أما كتب الحديث والعقيدة السّلفية ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه، فإنهم يُولونها خبالا وإعراضا ويحذرون منها، يساعدهم في ذلك غلاة الصوفية المجرمون، وهذا أميرهم عبد القادر محيي الدين الجزائري الذي كان يسعى لنفسه، وهاجم المغاربة مرارا أيام الملك محمد الرابع، ولكنهم دحروه، وهزموه، كما شرحه الناصري في الاستقصا (الجزء الأخير)، وهو صاحب كتاب (المواقف) الذي استقاه من (الفتوحات المكية) ؛ بل (القبوحات الهلكية) على حد تعبير الحافظ البلقيني . وذكر المؤرخون أنه كان يبحث عن كتب ابن تيمية بالخصوص بالشراء أو السرقة ويحرقها، أحرق الله شِلْوَه، كما أشار إليه الألباني في مقدمة (الكلم الطيب) لابن تيمية، وقد خيب الله سعي الأمير ومن لَفَّ لَفّه من مُخرفي الصوفية، فقيض لمؤلفات شيخ الإسلام من تتبعها من خزائن العالم وجمع منها المآت، وطبع منها ما تقر به أعين الموحدين، وتثلج صدور المومنين، وما زال البحث جاريا، ويظهر منها بين الفينة والفينة ما ينشرح له الصدر ويستنير العقل، ولكن خفافيش الظلام من الصوفية يتأذون من رُؤيتها، وقد قال أبو البيض –كما تقدم– بأنها سبب الضلال، وما ضل من ضل إلا

بقراءتها، والهُدى والنور عنده في قراءة : الإبريز، وطبقات الشعراني، وجامع كرامات الأولياء، وجواهر المعاني، ونحوها، (و إن كان يكره هذه، ويعتقد كفر صاحبها التجاني)، وبالمناسبة أقول بأن أبا الفتوح رجع عن تكفير التجاني الذي قال به زمنا تبعا لشيخه، وأثبته في ترجمته (الأنيس والرفيق)، وربما فعل هذا عناداً لخصمه الشيخ الزمزمي، وأخبرني من سمعه يُثني على التجاني ويقول عن كُفْرياته بأن مثلها معهود عن الأولياء، ونعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر .

الطرة 16 :

ثم تكلم متعالما ناقلا عن الغزالي في موضوع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والورع، وما يتعلق بذلك مما لا علاقة له بجرائم أبي البيض، ثم أشار [ص 27] إلى أن أبا سفيان مصطفى رمى الشيخ أبا البيض بالزنى واللواط [ص2] من (تنبيه القاري)، ولما رجعت إلى الموضع الذي أحال عليه من الرسالة لم أجد شيئا ! والواقع أن الذي رمى الشيخ بذلك وبغيره هو شقيقه الزمزمي في رسالته (تعريف المسلم بمن يدّعي السنة وهو كذاب مجرم)، الذي أحرقه بعد وفاة شقيقه كما أخبرني بذلك ولده أبي، وقد كذّبني في ذلك المسْخوط عزنان بدون حجة ووصفني بالخيانة، كما سيأتي تفصيله قريبا، كما رماه بذلك أحمد خيري باشا المصري تلميذ الكوثري وصاحبه عزت العطار في بيانين أسودين، نعوذ بالله مما اشتملا عليه، والله أعلم به، وقد ردّ عليهما الأخ بدر، وبعد أسطر قليلة عاد هائجا مزمجرا مدفوعا من شيطانه، فأطلق لسانه، قطّعه الله وأصابه بسرطان، فرماني بالكذب، والخيانة، والفسق، (و من أشراط الساعة كما ورد[1] : أن يُخوّن الأمين، ويُؤتمن

[1] رواه أحمد في المسند رقم : 6577 ، وفيه ضعف ؛ لكن الواقع يؤيده على حد قاعدة أبي البيض التي قررها عزنان في كتابه !!

الخائن) فأنكر أن يكون للشيخ الزمزمي رحمه الله كتاب بهذا الإسم، وأن (بونبزة) يعنيني اخترع هذه الأكذوبة، وزعم أن الزمزمي أحرق الكتاب، وقال بأنه سأل عبد الباري الإبن الأكبر للزمزمي فأنكر هذا جملة وتفصيلا، وقد أحسن الأخ بدر العمراني فنقل في (وقفاته) كلام الشيخ الزمزمي نفسه نقلا عن كتابه الجديد (رسائل في الصيام) المطبوع حديثا، وفيه تصريح الشيخ بأنه ألف الكتاب، وتبقى مسألة حرقه فليُسأل عنها ناشره الأخ أُبي حفظه الله، كما نقل بدر عن أبي البيض أنه كان على علم بتعريف المسلم، وزاد معرفته بالبلاء الأزرق، والمتوقع من الكذوب الوقح المتعالم المغرور، أن يسارع إلى التكذيب، لأنه فاقد الحياء (و إذا لم تستح فاصنع ما شئت) كما ورد، ثم عاد إلى الكلام على شروط الأمر بالمعروف، نقلا عن الإحياء، والمراد النفخ في الرسالة حتى يمتلئ بطنها، ثم لفت الأنظار إلى جرائم المجتمع، والمحرمات المعلنة، وأن الأولى كان بالسُّفياني وشيخيْه أن يتوجها لتغيير ذلك، في كلام بارد فاشل ممجوج، وكأننا لا نعلم شيئا من ذلك، وقد تركنا له القيام بذلك لأنه الواعظ المتميز !! ألا تراه أعلن نفسه في صورته الملونة بغلاف رسالته أسفل صورة شيخه أبي البيض، وهو متعمم بالصفرة، وفاتح يديه يتلقى الوحْي من إبليس، والميكرفون نصب فمه، والعلم المغربي خلفه كما ذكرنا سابقا، ونقلنا عن الإمام أحمد أنه فضّل من يقوم بالتنبيه على البدع في الدين ومحاربتها، على من يقوم الليل ويصوم النهار، وقال : هذا يعمل لنفسه، والأول لنفع الناس، كما أن سفيان الثوري رضي الله عنه قال : إن إبليس يفرح بالبدعة وأهلها ما لا يفرح للعصاة المنحرفين، قال : لأن العاصي يعصي وهو يعلم أنه يعصي فتُتوقع منه التوبة والإقلاع قريبا، بينما المبتدع يُخرب الدين والعقيدة وهو فرح مسرور، ويعتقد أنه يجاهد ويعبد الله كما تراه عند الطرقيين، وإتماما للفائدة، وإرغاما لزعنان الأفاك الدّجال المتوقح، ننقل نصاً مهما مثيراً كتبه الشيخ الزمزمي رحمه الله بقلمه في

طليعة رسالته (رفع الستار، عن أغلاط توجيه الأنظار، لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار) [ص57]، وهذا ننقله مع التعليق على فقراته بين قوسين، من باب (وشهد شاهد من أهلها)، قال : [و بعد : ففي هذه الأيام وقع بيدي كتاب مكتوب على ظاهره ما يأتي "توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار . تأليف الشيخ محيي السنة ومميت البدعة أبي الفيض أحمد بن الشيخ سيدي محمد بن الصديق" . هذا ما كتب على ظاهر ذلك الكتاب .. وأظنك إذا قرأت هذا العنوان .. اعتقدت أن صاحب الكتاب حريص على اتحاد المسلمين واجتماع كلمتهم في كل شيء .. حتى في الصوم والفطر ! ولكن الحقيقة بخلاف ذلك .. فإنه لا رغبة له في اتحاد المسلمين في الصوم والإفطار، ولا في الحج والصلاة، وإنما ألف هذا الكتاب عنادا وغراما بالجدال الذي هو دأبه وديدنه، ومجاراة لأهواء أبناء هذا الوقت الذين يحبون التشبه بالفرنج في كل شيء .. حتى في الصيام والأعياد ؛ فهم لأجل ذلك يحرصون على أن يكون العيد عند المسلمين كلهم في يوم واحد كما يكون عند الأوربيين كلهم في يوم واحد (قال أبو أويس : هذا فهم غريب لم يخطر بالبال) . وكما أنك قد تعتقد ما ذكر اغترارا بعنوان الكتاب .. كذلك قد تغتر بما حلي به مؤلفه من إحياء السنة وإماتة البدعة ؛ فتظن أنه محيي السنة حقيقة، مع أنه ليس كذلك ! وكيف يكون محييا للسنة وهو يرد الأحاديث الصحيحة الصريحة بالتأويل البعيد، والتعسف البارد .. انتصارا لهواه واتباعا لشهواته ؛ الأمر الذي أنكره على المقلدة وكفرهم لأجله !؟ فقد خالف الحديث الصحيح الصريح الذي حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم– قبل وفاته بخمس ليال، ونهى فيه عن اتخاذ القبور مساجد .. بتأويلات باطلة، وتعسفات مضحكة، ومكابرة ظاهرة !

(قال أبو أويس : زعم أبو البيض في إحياء مقبوره أن حديث أبي الهياج الأسدي —و هو في صحيح مسلم– لا يصح أو مؤول، ولم يخالف هذين الحديثين فقط ؛ بل جمهرة الأحاديث المتواترة معنويا، وقد جمعت منها نيفا وأربعين وهي مطبوعة، كل هذا لأجل الزاوية دمّرها الله) وخالف الأحاديث الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم تشبه النساء بالرجال والكفار .. وأعرض عن العمل بها بلا عذر ولا دليل مقبول ؛ بل بالتأويل البعيد والتعسف البارد وملاحظة المعنى الباطل الذي هو الشهوة واتباع الهوى ومجاراة النساء في أهوائهن ! (قال أبو أويس : ولعله يعني ما كان أبو البيض يأمر به أزواجه الأربع من صبغ شفاههن، وقص شعورهن، ونتف حواجبهن، ونحو ذلك) وخالف الحديث الصحيح الوارد في النهي عن الصلاة إلى القبور بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير ؛ بل بالتأويل الذي كفر به المقلدة وجعلهم لأجله مشركين ! (قال أبو أويس : يعني إذنه بدفن الأموات في زاوية أبيه قرب المحراب، وبيع القبور بأموال طائلة، مع نصه في إحياء مقبوره، أن الصلاة في المقبرة وإلى القبور وعليها أفضل من الصلاة في المساجد الخالية من القبور لافتقادها التأسي بالمسجد النبوي، ومن العجائب أنه ناقض نفسه —و لا بد لكل مبطل أن يقع في التناقض– في رسالة "الاستنفار لغزو التشبه بالكفار" فعقد بابا في تحريم اتخاذ القبور مساجد لما فيه من التشبه بالكفار، فاعتبروا يا أولي الأبصار) . وخالف القرآن والسنة والإجماع والقياس في إتيانه الكهان .. وتصديقهم، بالتأويل الباطل، والمغالطة المفضوحة التي هي إلى الزندقة أقرب منها إلى التأويل !! (قال أبو أويس : وهذا معروف عن أبي البيض واستمر عليه إلى وفاته، وفي رسائله الأخيرة إليّ إخباره بأقوال المجاذيب والحمقى (و أهل الحساب) وتبشيرهم بقرب الفرج العام وأنه في سنة 79–80، وقد تبخر ذلك كله، وتوفي الرجل وتوالت الكوارث على المسلمين إلى الآن، وكان بطنجة مجنون قصري يقال

له : أحمد الطرداني، يعتقده أبو البيض ويغشى منزله ويفعل فيه ما يشاء، وحدثني بعض الثقات أنه كان يخرج لزيارته بمكان[1] بضواحي طنجة، فإن وجد باب البيت مفتوحاً استأذن ودخل، وإلا بقي في انتظاره منكس الرأس حافيا، وذكر في (الجؤنة) أنه كان يتردد إليه بمنزله بالقاهرة مجنون أحمق فاسي سماه ونسيته وهو لابس قميصاً فقط، ومُدمن خمر يشرب منه ما يُسمى الزبيب، فإذا هاج مزق قميصه فيمشي مكشوف العورة، ويأتيه النساء بمناديلهن فينظر فيها، ويخبر بما سيقع لهن، والشيخ مؤمن بذلك، ومن أخبار الطرداني هذا أنه أخبر عن دار أبي البيض بسوق البقر بطنجة أنها لا تُباع، وتَعَثَّرَ بيعُها بعد وفاته، فقال المغفلون (و منهم بعض إخوته) : إنها نبوءة فلان، ولكنها بيعت أخيرا، وبلغ زوجي نصيبها منها) . وخالف السنة في تزويق المسجد وزخرفته، وتفريشه بالزرابي .. بالتأويل الذي شنع به على المقلدة وكفرهم لأجله ؛ فقال في (إحياء مقبوره) : "و أجازوا –يعني المقلدة– تزويق المساجد وفرشها بالحصر والزرابي، لأنه أدعى للاحترام، ولما فيه من مصلحة المصلين .. مع أنه ورد النهي بل الوعيد على ذلك" انتهى بلفظه!! (قال أبو أويس : وقد ذكر المؤلف –أعني : الشيخ الزمزمي–في كتابه الفاضح (الزاوية) ما جرى في بناء الزاوية بعد وفاة والدهم، وكيف جمع أبو البيض الملايين من أهل طنجة المساكين، وصرفها في تجديد الزاوية وزخرفتها، وبنى على قبر والده قبتين اثنتين، وهو محدث سلفي أثري خادم الحديث يعرف حديث : "ما أمرت بتشييد المساجد[2]"، وأثر "إذا زخرفتم مساجدكم فالدمار عليكم[3]"، وأذكر أنني قرأت منذ عقود من السنين في كتابه (تشنيف الآذان) الذي نصر به

[1] بمجشر الخلوة قرب قبيلة الأحد الغربية .

[2] رواه أبو داود رقم : 447 . صححه ابن حبان .

[3] أخرجه ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي الدرداء . قاله الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء رقم : 3556 .

البدعة : أنه يحب أن تكون المساجد أعلا وأجمل وأبهى من قصور الملوك والأثرياء لأن الله تعالى أمر برفعها (في بيوت أذن الله أن ترفع)، وهو يفسر الرفع بالزخرفة والتشييد والمرمر والزليج، وهذا ما يذهب إليه فقهاء فاس الذين يكفرهم أبو البيض) . وخالف السنة والإجماع والقياس والاستحسان ؛ بل والملل كلها في بيعه المساجد وأحباسها .. بالتأويل الذي هو في الحقيقة تلاعب بالدين، واستهزاء بآيات الله تعالى !! (قال أبو أويس : وخلاصة ذلك أن جد أبي البيض أحمد بن عبد المؤمن (مول اللحية الطويلة، السّبع الأصفر[1]) فتح زاوية بحي (رأس الرخامة بتطوان) وهو من كبار تلاميذ العربي الدرقاوي، وكان وقتها بتطوان محمد الحراق، وعلي الريسوني، وقد فتحا زاويتين وأغلب مريديهم من أهل البلد، ولا سيما الريسوني، فقد استقطب رجال المخزن والسلطة والثراء والجاه، ولما لم تقبل على التجكاني إلا فلول من البدو، كر راجعا إلى بلده، وبعد وفاته جاء ولده الحاج الصديق —و هو من الأولياء الكُمّل عند حفيده أبي البيض– إلى تطوان، وباع الزاوية —و فيها قبور– إلى يهودي، وقد غيّر معالمها، وأخرج منها محلات للكراء، ولما رأى ذلك (زِيوْزِيوْ) الدرقاوي أدركته الغيرة فاشترى ما تبقى من الزاوية، ووهبها لوالد أبي البيض الذي سلمها لفقرائه فبنوها زاوية، وعمروها بالسماع والرقص، وكان أهل الشيخ إذا قدموا من البادية نزلوا في الزاوية، فوقعت الشكوى منهم مرارا، فلم يكن من أبي البيض إلا أن باعها للريحاني، وباع أرضا موقوفة عليها، واستقال الريحاني أبا البيض فأقاله، وباعها لغماري خباز يقال له : أكَعْرير، وبعد ثورة الشيخ على الإسبان التي كانت حماقة، ونفيه، انتهز الفرصة صهره وابن عمته، ورفع عليه دعوى مستعينا بالإسبان فحكم له القاضي أحمد الشدادي الذي كان يُكِنّ للشيخ أشد العداء لنكفيره إياه من أجل استسقائه بذبح فرس وكتابة آيات

[1] هذه أوصاف له ذكرها أبو البيض في كتابه "المؤذن بأخبار أحمد بن عبد المؤمن" .

على جمجمته، ورميه في بئر، وسكن الصهر الدار التي فوق الزاوية، وبعد وفاته باع ولده الدار، وأكرى الزاوية، وهكذا تفعل الزاوية بأهلها، نسأل الله العافية) في مسائل أخرى .. ذكرتها برمتها في كتابي (تحذير المسلم ممن يدعي العمل بالسنة وهو كذاب مجرم) .

انتهت كلمة الزمزمي التي نقل منها الأخ بدر تصريحه بكتاب (تحذير المسلم)، وكنا أخطأنا في تسميته ب (تعريف المسلم) والخطب سهل، ونقل بدر في مواقفه عبارة لأبي البيض يشير فيها إلى الكتاب وكتاب آخر سماه (البلاء الأزرق) وقد حاولت مرة السعي بين الإخوة الغماريين في الصلح وإصلاح ما أفسده القتّات أبو الفتوح طيلة سنوات بالتجسس والكذب والنميمة عامله الله بما يستحق، ووجدت ذات البين مختلفة بينهم لا يمكن إصلاحها، وقد أبدى أبو البيض تجاوبا مشكورا معي، وصرح لي بأنه على استعداد للذهاب معي إلى الشيخ الزمزمي حافيا إذا قبله، قال : أما عبد العزيز فلا يمكن الصلح معه لما فرط منه مما يمس العرض، وينافي الأخلاق، علاوة على الجاسوسية وكشف أسراره للإدارة الفرنسية، كما أجاب إلى الصلح مع عبد الحي، ولما ذهبت إلى الشيخ الزمزمي لمنزله الأول بالقصبة، وذاكرته في الأمر، غضب وثار وصاح، وعلا صوته، وتمعّر وجهه، حتى رحمته، وجاءني برسائل ثلاث (تحذير المسلم) ولعل الأخريين : (البلاء الأزرق) ونسيت الثالثة، وقرأ علي فهرس الأولى، وقال لي : لن أعيركها، وما زلت أذكر : باب في عقوقه، باب في زناه، باب في قطعه للرحم، باب في لواطه الخ، هذه الرسائل هي التي أخرجها إلى صحن الدار، وأضرم فيها النار، قائلا : إن المقصود بها كان أبا البيض وقد توفي، هذا ملخص ما جرى حول الرسائل التي أنكر وجودها، وزعم أنه سأل عنها عبد الباري فأنكرها، وها هو والده يعترف بها،

وكذلك أبو البيض، فمن تصدق إن صح اتهام الزنديق زعنان زُحار، ردّ الله كيده في نحره، وأولاه الفشل في جميع أمره .

الطرة 17 :

وفي ص 29 : عاد الخائب إلى عادته في التكذيب المجرد، وما أسهله على من رق دينه، وذهب يقينه، واستمرأ الدعوى، في الجهر والنجوى، وكرر تأكيده أن مصطفى السفياني لم ير من كتب أبي البيض شيئا، وأن جميع ما حوته الرسالة هو من بنات أفكار (بونبزة)، وليس له فيها إلا قبول وضع اسمه عليها ! هذا لفظه كرره مرارا حتى أملّ، ولكن ما العمل فيمن فقد الحياء والخوف من الله، ولجّ في الصفاقة والحماقة حتى استحق أن يُنشد فيه ما قيل في مثله : [الكامل]

لـــو أن لي مـــن جلـــد وجهـــك فَأَقُـــدُّ منهـــا حـــافراً للأشـــهب رقعـــــــــــــــــــــــــــة

و قديما قيل في الحمقى : [البسيط]

لكـــــل داء دواء يســـــتطب إلا الحماقـــة أعيـــت مـــن يـــداويها بـــــــــــــــــــــــــــه

فمن يسارع إلى التكذيب المجرد، والدفع بالصدر، والمكابرة الفاضحة، لا ينفع معه الدليل، ولا تجدي البينة، ولله در من قال : [الخفيف]

والـــــدَّعاوَى مـــــا لم تُقيمـــــوا بَيِّنَـــــاتٍ أبناؤُهـــــا أَدْعِيـــــاءُ

عليهـــــــــــــــــــــــا

و هو القائل : [الخفيف]

وإذا البيِّنَـــاتُ لَمْ تُغْـــنِ شـــيئاً فَالتمـــاسُ الهُـــدَى بِهِـــنَّ عَنـــاءُ

ثم أخذ على مؤلف (تنبيه القاري) اعتبار نفسه حكماً بين الأئمة، كالكوثري وأفاض في الثناء عليه وإطرائه، ونقل كلام مادحيه، وعمي عن ذاميه، وعلى رأسهم ومن هو أبلغهم في القدح والتجريح والتجريم : الشيخ أبو البيض الذي أفرد في تناقضات الكوثري فقط مجلدا طبع، وهو (بيان تلبيس المفتري، محمد زاهد الكوثري) وقبله الإمام النقادة النفاعة ذهبي العصر : الشيخ عبد الرحمن المعلِّمي اليماني في كتابه الرائد (التنكيل، لما أورده الكوثري في تأنيب الخطيب من الأباطيل) وكتاب الشيخ الواعية المطلع بكر أبو زيد القضاعي في كتابه (تحريف النصوص)، وغيرهم، وهذه الكتب في متناول يد عزنان البائس، لو أراد الله به خيرا، ثم ألا يكفي العاقل المنصف في إثبات ضلال الكوثري وانحرافه الشديد : تصريحه في مقالاته بتكفير الإمام المجتهد الشوكاني الذي ملأ الفضاء بمؤلفاته في الفقه والحديث والتفسير والعقيدة، وكفره الطافح وردته الصارخة بإعلانه البراءة من الإسلام إن كان ابن تيمية شيخ الإسلام، ألا قبح الله التعصب الممردي، والشعوبية القاتلة، فإن كل ما صدر من الكوثري من هذه الموبقات، والفواقر المهلكات، كان انتصارا بالباطل لأبي حنيفة الذي يقدمه على جميع أئمة المسلمين، وفي سبيل الذب عنه ولغ في أعراض مالك والشافعي وأضرابهما من أئمة السلف الهادين المهتدين، بلْه الإمام أحمد الذي ما كان يعده من الفقهاء ولا العلماء المعتبرين

عنده، وقد أفضى به تعصبه المقيت إلى النيل من بعض الصحابة كأنس بن مالك رضي الله عنه وغيره، أمثل هذا الدعي الخبيث يستحق التقريظ ؟ ألا قبح الله من لا يستحي .

الطرة 18 :

ثم ذكر زعنان مذهب الأشاعرة، وأفاض في مدحهم، والثناء عليهم، وتجاهل مذهب إمامه أبي البيض فيهم، ووصفهم بأقبح النعوت كقوله عنهم بأنهم أفراخ المعتزلة، وأنهم ضالون مضلون، وهذا موجود في : جؤنة أبي البيض، والإقليد، وغيرها، ولأخينا الأستاذ الدكتور صادق سليم صادق كتاب "الرد على الأشاعرة والمتكلمين والفلاسفة"، قصره على كلام أبي البيض وشقيقه فيهم، وقد قدمته له . لكن الخائب الخائن أعمى الله بصره، بعد أن أعمى بصيرته، ينكر هذا ويدفعه، وكلامنا عن الأشاعرة المنكرين لصفات الله، والمعتقدين أن القرآن مخلوق، كقول سلفهم المعتزلة، لأن هذا القرآن الموجود بين أظهرنا، والمتلو والمقروء والمسموع ليس كلام الله، وإنما هو دليل عليه لأن كلام الله نفسي منزه عن الحرف والصوت، وليس له أول وآخر الخ هذيانهم الفلسفي الدخيل على الإسلام، وإذا بلغ بهم الضلال منتهاه، وسئلوا عن هذا النظم المعجز، كلام من هو ؟ تحيروا واضطربوا فمن قائل إنه كلام جبريل، وأعلن أحدهم أنه كلام محمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله (و ما يومن أكثرهم إلا وهم مشركون)، وقد تخبط مُحْدِث البيضاء البريجي في الدفاع عنهم بأسلوب آية في الفسولة والتكرار واللحن، وإيراد أبيات من الشعر مكسورة، وقد قوّم له كثيرا منها الأخ بدر في (وقفاته) ونبّهه على لحن قبيح صدر منه مرارا، ومع هذا لا يرعوي عن عيب سيده وشيخه (بوخبزة) الذي ندم على

اتصاله به، وما كان يظن به أن يبلغ به العقوق والجحود إلى القذف واللعن، والتجهيل والتفسيق .

ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

الطرة 19 :

ثم نقل زعنان عن السفياني نقله من كتاب (سوط الأقدار) للشيخ عبد الحي الكتاني الذي ضمنه من فضائح أبي البيض ما يصك المسامع، ويذرف المدامع، وردّه بأنه من كلام الأقران بعضهم في بعض، وأنه يجب أن يطوى ولا يُروى، وأطال في نقل كلام العلماء في الموضوع مما هو معروف لا داعي إليه إلا تضخيم حجم الرسالة، وإظهار التعالم والاطلاع، وفاته أن لخصمه السفياني كتابا جيدا في الموضوع وهو مطبوع، وينبغي أن يُعلم أن أبا البيض هو السابق إلى تجريح عبد الحي الكتاني وتجريمه، ورسالته في ذلك مطبوعة مشهورة، وهي (كشف الأستار المسبلة، وتبيين الأوهام المسلسلة، الكائنة في رسالة عبد الحي الكتاني المسماة بالرحمة المرسلة، في شأن حديث البسملة) طبعها أبو البيض باسم مستعار، وهو بكلّ تأكيد صاحبها كما سمعناه من إخوانه، والدافع له لكتابتها وطبعها الحسد، والشيخ المنتصر الذي كان يلازم أبا البيض ويطلعه على أسْرار خصمهم جميعا، وقد سفل أبو البيض وهبط إلى الحضيض في شتائمه لخصمه، وعد مساويه، مما يصعب على العاقل تصديقه، حتى رماه بالكفر، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي كان يؤلف القرآن بغار حراء، وعليه فكيف يُلام الشيخ عبد الحي عن انتصاره لنفسه، وهو المظلوم المنتهك عرضه ؟ وقد نسب هو الآخر (سوط الأقدار) إلى اسم مستعار، ومن أخلاق الرجل وحلمه، أنه ألغى رسالته ولم يتمها، كما أنه لم ينشرها، وإنما وُجدت في كتبه المنقولة إلى الخزانة العامة بالرباط وهي

هناك بخطه، وقد كان الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله حدثني أن عبد الحي كتب إليه يرجوه أن يُوافيه بمساوي أبي البيض ومواقفه في العمالة والتعاون مع النصارى، ليضمنها ردّه الذي هو بصدد كتابته، قال كنون : فكتبت إليه أرجوه أن يكف عن هذه المهاترات، وتبادل الاتهامات، ويشتغل بما ينفع الناس ويمكث في الأرض، فكف الشيخ عن ذلك، ولو كان كنون كتب إلى أبي البيض بمثل هذا لما لقي منه تجاوبا، ولما رفع له رأسا، لما فطر عليه من العناد البليغ، واللجاج في الباطل، وقد وقفت له على تائيته : (بعر النعجة، في ذم أهل طنجة) في مآت من الأبيات من الطويل أتى فيها بما يصح أن يُعدّ قاموس الشتائم واللعائن، ولم يشذ عنها شيء منها، ولم يكتف بذلك حتى عكف على شرحها وهو معتقل بمدينة أزمور، فوضع شرحا نعوذ بالله مما أورده فيه مما يعجز عنه إبليس، ومع ذلك سماه (صدق اللهجة، في التحدث عن تاريخ طنجة) ونسب المتن والشرح إلى اسمين مستعارين لم يخلقهما الله تعالى، هذا مع العلم بأن أهل طنجة هم الذين آووا والده ونصروه، وأنفقوا عليه وغلوا في حبه ومدحه، وأنفقوا –مأزورين– الأموال الطائلة على بناء الزاوية والضريح، فلم يجد أبو البيض ما يكافئهم به سوى الطعن الجارح، والكشف الفاضح عن أسرارهم التي لا يخلو منها بشر، فهل هذا مما يحسن السكوت عليه ؟ وقد تقدم أن عزنان مدح أولياءه وأئمته وقرظهم وسمّى منهم : محمد سعيد رمضان البوطي –و لم يعرف اسمه– وهو عميل للنُصَيْريين خُرافي شهير، رأيته في القناة السورية يصلي على جيفة حافظ الأسد ويبكي بكاءً حارا، ويدعو الله أن يُعوض المسلمين عن فقده خيرا ؟ وهو يعلم ما فعل الميت ونظامه بالمسلمين، وكيف كان أخوه رِفْعَت يدفن شباب المسلمين أحياءً، وكارثة مدينة حماة وما فعل فيها معروفة، ألفت فيها كتب، وشيخك البوطي سعى حثيثا في أذية السلفيين والمسلمين، فقد تسبب في سجن العلامة عيد عبّاسي قُرابة عشرين سنة، لأنه رد

عليه رسالته "اللامذهبية" . وذكر عزنان من شيوخه المختارين : القرضاوي الذي نصب نفسه أمينا عاما للتنظيم العالمي لعلماء المسلمين !! وبالأمس القريب أفتى المغاربة بجواز الاقتراض من البنوك الربوية لشراء السكن بدعوى الضرورة أسوة بإخوانهم بأوربا، وفتواه بوجوب ذهاب الجنود المسلمين الأمريكيين إلى الأفغان والعراق لمحاربة إخوانهم المسلمين، إطاعة لرؤسائهم ونظامهم، وبناءً عليه أرسل بوش المآت منهم انتقاما منهم لإسلامهم، وهو الصليبي الأخرق، إلى الأفغان والعراق، وقد مات بعضهم ثمة، وذهابه بقامته الفارعة، ووجهه العريض، وعمامته المكورة ضمن وفد من العُلفاء إلى الأفغان ليحولوا دون هدم تماثيل بوذا ما زال صداه يرن في الآذان، وتصريحه بأننا لا نقاتل اليهود لأنهم يهود؛ بل لاحتلالهم فلسطين، ومثلهم الأقباط، وأنا على يقين بأنه وشيخ الأزهر وجمهور علماء السلطة في العالم لا يستطيعون أن يعلنوا أن اليهودية والنصرانية دينان باطلان، وأن الدين الحق هو الإسلام وحده، عملا بقوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام)، وقوله : (و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)، وإلى الله نشكو غربة الإسلام وأهله في وطنه، إن علماءنا إلا السلفيين –و قليل ما هم– لا يستطيعون الجهر بهذا في النوادي العامة، والبرلمانات، ويطول بنا الحديث عن فواجع هؤلاء الأئمة قادة عزنان ومقلِّديه، دفعه الله بهم وحشره في زمرتهم .

الطرة 20 :

ثم تناول المحْدِث البريجي، الكلام عن موقف أبي البيض من الصحابة، وإعلانه تكفير ستة[1] منهم – وتبعه على ذلك أشقاؤه الثلاثة، واضطرب فكره وعقله، فحاول الدفاع عنه في جرائمه هذه بتأويل أحاديث المثالب ؛ بل وإثباتها إغراقا في الضلال، واستجلابا لسخط الكبير المتعال، وترديدا لقول من قال : لم يصح في فضل معاوية حديث، مع أن شيخه ومقدِّم كتابه هذا لحاجة في نفسه، صرح في كتابه (جواهر البحار) أن حديث أم حرام يتضمن منقبة لمعاوية، وسبب ضلال شيخه وشيخه : الزيدية، والروافض الذين أغووا أبا البيض وهو غرّ شاب بمصر، فقدم المغرب بكتبهم الكثيرة المطبوعة على الحجر، والتي باع الكثير منها للنصارى، وهي بخزانة تطوان، واحتفظ لنفسه بنسخة من (النصائح الكافية، لمن يتولى معاوية) لمحمد بن عقيل الحضرمي المطبوع بسنغافورة، والعجب أن عزنان شكك في قضية ترويج أبي البيض لكتاب ابن عقيل ولا أدري لماذا، وقد حثنا أبو البيض على قراءة الكتاب، وأعارنيه، كما أن أبا الفتوح كان مهتبلا به، داعيا لما فيه، وقد عيره به تلميذه الأثيم المغفل الودراسي، لما أرسل يعظه بعدما تشيع وترفض، وكم من الأغبياء والعامة وقعوا في التشيع والرفض بسبب موقف أبي البيض، وإعلانه لعن الصحابة، وحكمه على ضمائرهم، بأنهم كانوا أعداءً لعلي وكانوا يبغضونه إلا قليلا منهم، ونسي أنه بهذا يحكم بنفاقهم، نعوذ بالله من ذلك، وقد نالنا من هذا الشر المستطير فتناولنا بعضهم بما يؤلم الفؤاد تذكره، ونرجو الله مخلصين أن يغفر لنا حُوبنا وخطايانا، وإسرافنا في أمرنا، فعلى أبي البيض وِزْرُنا ووزرُ من عمل بزُوره وتضليله إلى يوم القيامة، وليحمل أوزاره وأوزار من أضلهم

[1] وقد حدثني بعض الثقات أنه سمع الشيخ عبد الله بن الصديق يعد الصحابة الذين لا يترضى عنهم ، فقال : هم : معاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وبسر بن أبي أرطاة ، وعبد الله بن جرير البجلي ، وسمرة بن جندب ، والمغيرة بن شعبة .

بغير علم إلى يوم الدين، وكلام عزنان في هذا الميدان مُمِل جداً لتكراره وركاكة أسلوبه، وقد فاتني أن أنبه قبلُ إلى أنني إذا قرأت صفحة من كلامه وأردت تلخيصها شقّ علي ذلك لافتقاد التبيين، ووحدة الموضوع، وتداخل المعاني، وسوء الاستطراد، فأعاني من ذلك ما أرجو ثوابه من الله تعالى لكشف عواره، وفضح جهالاته، وفي موضوع الصحابة وموقف أبي البيض كان يكفيه عن تمحلاته أن يقرر أولا أنني على دينه، وأعتقد عقيدته، فلا داعي للبحث عن الأحاديث الواهية، وتتبع الأخبار من (النصائح الكافية)، وتاريخ الطبري، دون أن يعرف أن معظم تلك الأخبار هو من رواية المتروكين والكذابين كالواقدي وسيف بن عمر وأبي مخنف لوط، وأضرابهم، وأن مهمة الطبري ونظرائه رواية التاريخ بالسند، وهو يحيلك في نفس الوقت على البحث والنقد، ولْتحاول أيها المخذول زادك الله حذلانا وضلالا، أن تجد مثل تلك الأخبار في الصحيحين ومثلهما ممن يتحرى الصحيح، ولكنك لجهلك وغرضك تميل إلى إثبات تلك الأخبار، وتُشيح بوجهك عما يناقضها، وتتبع كلامه الخبيث يطول، ولذلك نحيله على كتاب جميل يُعتبر نقضا مسدّدا إن شاء الله لنقائص وتلبيسات (النصائح الكافية) التي برم بها أبو الفتوح فأحرقها، وكأنه تاب مما فيها وعسى ولعلّ، واسمه (إسكات الكلاب العاوية، بفضائل خال المؤمنين معاوية) للأخ محمود بن إمام بن منصور من علماء نجد، وقد طبع بالمدينة المنورة، فندعو عزنان أن يقرأه بإنصاف وتجرد من الهوى والغرض، ومن العجائب والعجائب جمة، تعرض المحْدِث البْريجي الفَدْم لنقد ابن الجوزي والألباني والحط عليهما، ولا عجب فإنه إذا اقتضى الأمر يشتط فيتناول ابن تيمية وابن القيم والذهبي، وربما الحافظ ابن حجر ونحوهم من جبال العلم والحفظ، ولْيُعلم أننا نعيش الآن زمن المسخ، وهذه مظاهره، والعلم ليس له محتسب، وها هو عزنان زُحار المحاسب بالعمالة (كونطبلي) نبغ في علوم الحديث،

وأتقنها وصار بين عشية وضحاها يتعقب كبار الحفاظ، ورموز الأمة في العلم منتهجا في ذلك نهج شيْخيه المتنافريْن حسن السقاف، ومحمود سعيد، المتمثل في الرد والتعقب كيفما تيسر، وإلا فصنيعهما لا يكِع عنه إلا من يستحيي من تصيد الكلام في الرواة —و لا يكاد يخلو راو من عيب– فيطير به ويصحح ويضعف دون حسيب ولا رقيب، وعمل عزنان ومن وراءه من أثافي الضلال، ودعاة الفتنة، ضرب في حديد بارد ؛ لأن الناس في الشرق والغرب يرجعون إلى الألباني وأصحابه، ويعتمدون أحكامه على الأحاديث، وكتبهم وأبحاثهم تزدحم بها المكاتب، وقديما قال حكيم : [البسيط]

النّاس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ما لم يروا عنده آثار إحسان

سبق لعزنان أن التفت إليّ وسلقني بلسانه الطاغي [ص 36]، وردد تهمته الداحضة لمؤلف (تنبيه القاري) أنه لم يكتبه، وإنما نقله عني، وليس له فيه إلا اسمه، ثم رماني بالكذب، وخوّنني، وأنني غيرُ مؤتمن في كلامي عن أبي البيض لانحرافي عنه، وهذا غريب، كأنني أتكلم من عندي، أفلا يرى الأعمى زاده الله عمى، وأضاف إليه صمما وبكما، أن مؤلف (تنبيه القاري) ما أخلى فصلا من فصوله من الاحتجاج بكلام أبي البيض بنصه وفصه دون تصرف نقلا عن خطه من رسائله الكثيرة التي أطلعته عليها، ولم تكن رسائل الكُرفطي طبعت، وفيها ولا سيما ما لم يُطبع منها فواقر وبوائق، وكذلك بعض مؤلفات أبي البيض غير المطبوعة، وطرره وهوامشه التي كتبها على بعض الكتب، فكيف تنكر هذا أيّها الإمعة المفتون زادك الله فتنة ؟ وقد عاب عليّ زعنون إفشاء أسرار أبي البيض،

وهي كلمة قديمة سمعتها من الشيخ عبد الله، وناقشته فيها قائلا : إنها مسائل علمية كان أبو البيض يوصيني بحفظها وطبعها، وهو الذي اقترح الاسم إن تيسّر الطبع : (الجواب المفيد، للسائل المستفيد)، وهذا ما فعل الأخ بدر بإذني، والمنشور منها ما سلم من سرقة وسطو أبي الفتوح فتح الله عليه أبواب الشر، وزعمه أنني انقلبت ضد الشيخ بعد اتصالي بجماعة الوهابية الذين غرّروا بي الخ، فليت شعري من هؤلاء الوهابية ؟ لماذا لم تفصح عنهم أيها الجبان، وهذا اتهام رخيص بارد كسائر اتهاماتك، والوهابية لا وجود لهم في المغرب، والغريب أنني لم أسمع هذه النسبة في الحجاز والنجد، وعلمت من علمائهم الحنابلة أنها تسمية سياسية من فعل الاستعمار الإنجليزي، وعزنان يعلم عني أنني لم أدرُس بالحرمين، وليس لي علاقة بالنوادي والمعاهد العلمية هناك، وأنا حججت مرتين، واعتمرت أربعا بمالي، ولم أتملق أحدا، ولا طلبت رفدا لا بالحال ولا بالمقال، لا كما يفعل شيخه أبو الفتوح الذي يعتمر كل سنة لجمع الفتوح، والتسول بالأكاذيب، ولم لا يفعل، وقد شاهدت شيخيْه عبد الله وعبد العزيز، وكيف يترددون بعد أن مكثوا سنين لا يعرفون أحداً، فمن الله عليهما بالفداني، وهو عجمي ومنزله بمثابة الزاوية يقصده العجم من بلده وغيرها، وقد أوحى إليهم أن الشيخين من آل البيت ومن المحدثين والصوفية، فأقبلوا عليهما يلتمسون بركتهما ! ويستجيزونهما في الطريقة الصوفية والحديث، وقد حصدوا من ذلك الملايين، وتبحبحوا في الرزق وتوسعوا في غيبة من تأنيب الضمير وموت الورع، ناسين أن هذا جزما من أكل الدنيا بالدين، وما نقمه علي عزنان من أن سبب انحرافي عن الشيخ والزاوية الهاوية، هو ما اطلعت عليه بعد وفاة الشيخ مما لم أكن أعرفه، هو الواقع بلا تردد، وقد أشرت إليه فيما تقدم، ويرجع الأمر بعد عناية الله تعالى ولطفه، وله الحمد والمنة إلى كتابي (الإقليد) و(البرهان الجلي)، وقد كنت استعرت من الشيخ كتابه (البرهان) فاعتذر

بوجوده عند شقيقه عبد الله بقصد الطبع، ولم يتيسر طبعه في حياته رغم سعيه، ولا أشك في أن لشقيقه يدا في ذلك لما يعلمه في الكتاب من تُرَّهات وخزعبلات ينزه عنها العاقل، وبعد وفاته طبعه مَريده البكباشي، وقدم له بمقدمة آية في الفسولة والركاكة والعجمة مع أبيات في مدح الشيخ لو سمعها المتنبي لمات حسرة وكمدا، ولما سألت عنه أخاه الطركتور إبراهيم، قال : هو عنده، فاستعرته فأعارنيه مساءً، وفي الصباح التالي استرده مني بإلحاح معتذرا بما لا يقبل، وبعد أن وقعت بيدي نسخة منه وقرأته، عرفت السبب الحق، وهو ما تضمنه الكتاب من فضائح، أما الكتاب الأول (الإقليد)، فقد رأيت أصله بخط المؤلف بطنجة في مجلد ونظرت فيه ولم أستطع قراءته فضلا عن نسخه لكبر حجمه، ولم تكن آلة التصوير السريع ظهرت، وبعد مدة وقعت بيدي نسخة بخط أبي الفتوح، ولم أر كتابا أردأ خطا منه، فصورته وقرأته وتيقنت أن المؤلف يكيد للإسلام بعبثه بالقرآن وتفسيره بالرأي المحض، ناهيك من رجل سلخ شهورا وأياما يقرأ القرآن في المصحف، ويراجع لمعاني المفردات تسهيل ابن جزي كما أخبر في رسالة إلي، وكلما مر بآية من سورة البقرة إلى سورة الناس، تتعلق بالمنافقين والنصارى واليهود والصابئين والمشركين ونحوهم إلا طبقها على المقلدين المسلمين دون قيد ولا استثناء زاعما أنه المعنى الصحيح المراد لله تعالى كما أقسم بالله تعالى في (مطابقة الاختراعات العصرية) أن الله تعالى ما أراد بالآيات النازلة في المنافقين في أوائل البقرة إلا الوطنيين من حزب الاستقلال وحزب الإصلاح الوطني، فاعجب لهذا الرجل الذي بلغت به الجرأة على الله والاستهانة بحرماته إلى هذا الحد، ولما وعيت هذا وعرضته على أصول الدين الإسلامي وقواعده وفقه سنته، وعلمت أنه ينافيه كل المنافاة، وأن الأمر لا يحتمل التأويل فنفضت يدي منه، وتبرأت من نحلته وأعلنت منابذته، ولا بأس علي إن قضيت الأعوام والسنين في الرد عليه وكشف

عوراته لاعتقادي أنها أفضل الجهاد، لأن أبا البيض وحزبه يخربون حصوننا من الداخل، والاغترار بهم قاتل، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما أخبرت به زعنان في رسالة مني إليه من عزمي على كتابة (صحيفة سوابق) أسجل فيها نحو خمس عشرة موبقة، صحيح، وقد زدت عليها فبلغت الآن عشرين موبقة بين مكفرة ومفسقة، ويطيب لي أن أعلمه أن كتابه (دفاع عن كرامة أبي البيض) كان أكبر حافز وأقوى باعث لي لنفض الغبار عنها والتعجيل بكتابتها ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة، وما كتبت هذه الطرر والمواقف –و قد بلغت العشرين– إلا مدخلا لها، وسأوافيك بها بعد قليل، وأذكرك بكلمة الإمام المجاهد الصابر المحتسب أحمد بن حنبل المتقدمة التي فضل بها من يحارب المبتدعة، ويكشف للناس ضرهم على الصائم القانت المخبت المنقطع، لأن نفع هذا قاصر عليه، والأول يعمل لأجل حماية الدين والمعتقد، وسلوك مُحْدِث البيضاء والبْريجة اللعين المخزي معي عجيب، فإنه زارني وتتلمذ على رسائلي واستجازني فأجزته، فوجد في صيغة الإجازة وصف أبي البيض : إمام العصر، ونادرة الدهر، في حين أنني أكفره وأحكم بردته بأدلة تبلغ خمسة عشر دليلا باعترافه، مع أن واحدا منها يكفي، والوصف المذكور صحيح، ما زلت أعتقده بأن أبا البيض كان وقته بالمغرب إماما فريدا لا نعلم له نظيرا، وليس هذا خاصا به ؛ بل هو موقفي من الكتاني والفاسي الفهري، فإنني أعتقد فضلهم العلمي، وأبرأ إلى الله من انحرافهم وعمالتهم، ولكن حصة أبي البيض كانت حصة الأسد؛ لأنه شذ عنهم، وتظاهر بمصائب لا تُعرف عنهم، والحق أن انحرافي عنه بدأ برسالة فرعون، فقد دهشت لجوابه عن سؤالي عن فرعون بأنه مؤمن، ولا شك أنه يقول زيادة على إيمانه بولايته كما قال قدوته الكبرى ابن العربي الزنديق الملحد في (فتوحاته) ؛ بل مسوخاته التي مسخت عقول الغماريين حتى نَعَق أبو العُسر

جمال الطين بنعته مُحيي الدين والإيمان، ودعا : أعاد الله عليه من أنفاسه الزكية، وملأ كتابه (السوانح) من فضائحه، وحين اطلعت عليها وجدتها من موجبات الكفر والردة، ولم أستبح السكوت عليها فكتبت عليها ردودا موفقة إن شاء الله، ثم إن صيغة تلك الإجازة كانت قديمة، ومع اعترافي بمشيخته لي كغيره، فإني أبرأ منه وأحذر منه، وأكشف للناس جرائمه عملا بأصل الولاء والبراء في الإسلام، وإحياءً لسنة خليل الله عليه السلام، والشهادة بالحق واجبة كما قال تعالى : (... على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)، ومسألة التكفير والتفسيق أنا أعلم خطورتها، وما كنت لأجرأ عليها لولا ما توفر لدي من دلائل وبراهين جمعت أقوى وسائل الردة كما يعلم من أبواب الردة في جميع مذاهب الفقه، على أن كثيرا من العلماء والدعاة في الحرمين الشريفين ومصر لما وقفوا على رسالة أبي البيض في إثبات إيمان فرعون، استعاذوا بالله منها، واعتبروها محادة لله ورسوله، فكيف لو اطلعوا على سائر موبقاته التي ستتولى (الصحيفة) ببيانها بإذن الله، ويعلم الله أنني لم أكتب حرفا فيها بدافع الهوى أو الانتصار للنفس، فإنني لم ألق من أبي البيض إلاالجميل، وقد أهدى إلي من كتبه الكثير ومدحني بقصيدة ميمية أوردها بدر في "الجواب المفيد"، وما أحسبه مدح غيري بالشعر، وقد كانت ردا على مدائحي التي لم أكن فيها كاذبا ؛ بل معتقدا مغترا جاهلا بالحقائق، وقد اعتذرت من هذا، وصرحت به في رائيتي التي نشرها أبو سفيان، في طليعة (تنبيه القاري) وهذه أبياتها الأولى، وكلها مهمة في نقد صوفية طنجة وما هم عليه من الإفك والبهتان : [الطويل]

قضـــيت زمـــانا صـــوفيا ومقلـــدا   لمـــن كنـــت أرجـــو مـــنهمُ صـــالح الأثـــرْ

فمـــا نلـــت مـــنهم غـــير زور وبدعـــة   شـــيّع، يا ويحـــي لمـــا حـــلّ وانتشـــرْ
الــــــــــــــــــــــــــــــت

فقلـــت مقـــالا مســـتقيلا ومعلنـــا إلى القـــوم : إني تائـــب للـــذي فَطَـــرْ

مـــــدحتكمْ غِـــــرّاً ولم أكُ عارفـــــاً بتـــاريخكم، يا مصـــدر اللُـــؤْمِ والخَـــوَرْ

و قد صارحت بهذا الشيخ عبد الله بمكتبة الناصر بتطوان لما لامني على تأخري عن جنازة أخته زكية، فأخبرته بأنني لا أدخل الزاوية، فرد علي وأساء الأدب، فأخبرته بأنني أسلمت لله وتبرأت من الزاوية وأهلها، فغضب الرجل وعلا صوته، فسببته وانصرف مسرعا وذهب إلى صهره وشكاني إليه . هذا الرجل الخرافي رقم 1 كما كان علماء الأزهر يلقبونه، والجحود لكل يد، وقد نفعته لما كان بالسجن ماديا وأدبيا، وشرح ذلك يطول، ولما عاد إلى المغرب مختل العقل وزارني وأخبرني بأنه بصدد تأليف كتاب في الرؤيا رجوته أن يتعرض لأبي الفتوح وكَلَفِه بالرؤى، واستهتاره إلى حد الردة ؛ إذ زعم أخزاه الله أن أحد أنعامه رأى الله – سبحانه وتعالى عن إفك الأفاكين– على صورته (الجميلة الساحرة المنورة !!) فشاركني عبد الله في الاستنكار والاستهجان، ولما صدر الكتاب لم أره فعل، وقد حصل لي معه مناظرة في الزاوية في مسألة تتعلق بالتشهد في الصلاة، بادر فيها إلى تكذيب الألباني في نسبة رواية إلى البخاري، ولما راجعت (صفة الصلاة له) وجدت العزو صحيحا، فكتبت إليه، فأشار إلى القصة في كتابه (الرؤيا) وذكرها على غير وجهها، والرجل كان كثير الخلف للوعد، فقد حدثني الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله أن علماء المدينة أكرموا الشيخ عبد الله وأخذوه معهم إلى العوالي، وهو أكول والقوم لا يقصرون في أنواع الأطعمة والحلويات، فناظروه وأوقفوه على مطاعنه في شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه، فأجابهم بأن ذلك كان

قديما، وقد غير رأيه الآن، فألزموه التوبة والكتابة، مع الوعد بالرجوع عن ذلك، فكتب مؤكدا وعده، ولما عاد إلى طنجة والزاوية، وكر الفجور "عادت حليمة إلى قواعدها القديمة" كما وعدني بالرد على أبي الفتوح وكشف أكاذيبه في رؤاه الشيطانية، وأخلف الوعد، وكنت مترددا في وفائه علما بأن الرجلين معا ومن معهما من أبناء الزاوية، يعيشون من رَيع الزاوية (الحلال الطيب!!) من النذور والصدقات و(الوعْدات) وهم يعلمون، وزادوا بعد ذلك التهافت على موائد تجار المخدرات بطنجة ونواحيها فكانوا يذهبون إليهم زرافات ووحدانا ويتقبّلون بغاية السرور صدقاتهم ويسمونها هدايا، وحدثني بعض الثقات أن أحد أباطرتهم كان له مسجد بطنجة رتّب فيه طلبة ينفق عليهم ويشتري لهم الكتب، ويرسل سائقه بسيارته (المِرْسديس) الفارهة إلى الزاوية لتحمل الشيخ إلى المسجد لدراسة (الأصول في محاربة الرسول)، ومصطلح الحديث، (و إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) هذا وشعارهم المعروف عن أهل الزوايا : الحلال ما حل باليد، والحرام ما حُرِمْنا منه، إذا عرفت هذا علمت أنني غير ملوم على ما صنعت لأنه الواجب على كل من عرفه، وقد قامت الحجة على مُحْدِث البيضاء فاطلع على مصائب القوم ومثالبهم خصوصا أبا البيض، وبَدَل أن يُسارع إلى الإسلام والتوبة، ركب رأسه، وأصر على ضلاله، ودافع عن رجل بما لا يجديه نفعا، وقد اعتذر عني وأدركته رِقة على شيخه فرحمه بسبب ملازمته الفراش وطعنه في السن !؟ وهذا إفك مبين، ولعل إبليس ألهمه هذا الخبر، والواقع أنني بحمد الله معافى أقوم بواجبي في الكتابة والتدريس، والإجابة عن أسئلة السائلين التي تتجاوز العشرات في أغلب الأيام، ونرجو الله تعالى أن يُطيل عمري في طاعته (و خيركم من طال عُمُره وحسن عمله) كما

ورد[1]، وو الله ما أحب أن يُنسأ في أجلي إلا لأُنشقكم الخَرْدَل، وأطعنكم في السويداء بسهام السنة والحق، يا حزب إبليس، وجنده المخلصين .

يا مـــن بُليـــتُ بهـــمْ والعقـــل في نَكَـــدٍ ... ممـــا أرى مـــن ضُـــروب المسْـــخ ألـــوانا

هـــذا حليـــف ضـــلال في البَريجَـــة قـــدْ ... أَبـــدى مـــن الجهـــل والإشـــراك أفنـــانا

(عَـــزْنانُ) نَجْـــلُ (زُحـــارٍ) نَغْمَـــةٌ نَشَـــزَتْ ... مـــن طِبْـــل إبلـــيس أَوْلاهـــا تَلاحينـــا

أبـــو الفتـــوح ترامـــى راقصـــا فَرِحـــاً ... يصـــيح فـــيهم، ويُبْـــدي الحُمْـــقَ أَحْيـــانا

أشـــكو إلى الله طُرْقـــاً للتصـــوف مـــا ... زالـــتْ تُخَـــرِّبُ في الإســـلام إِمْعـــانا

أَبْـــدَوْهُ للنـــاس تخريفـــا وزندقـــةً ... و وَحْـــدَةً، تَحْسِـــبُ الـــرحمن إنســـانا

لَعـــائِنُ الله تَـــتْرى بُكْـــرةً ومَســـا ... علـــى زواياهُـــم خِـــزْياً وخُسْـــرانا

و مـــن شُـــيوخ ضـــلال قـــد طغـــوا وبغـــوا ... و بـــدّلوا ديننـــا ظلمـــا وعُـــدوانا

و ذكـــرهمْ قبـــل رقـــصٌ لليهـــود نُمـــي ... و الزّمـــر والطبـــل إحســـانا وإيمـــانا

[1] رواه الترمذي وحسنه ، رقم : 2251 .

يا ربّ واحْـــمِ حِمـــى الإســـلام مـــن فقـــدْ طمـــى الســـيلُ بالأخطـــار إيـــذانا دَدِهِـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــمْ

أما أبو العسر وجمال الطين، فحكايتي معه طويلة، وسأذكر بعض مواقفه ومزاياه ليعرف القارئ طبيعة القوم في اللؤم والتلون، والخبث والوقاحة : استدعاني مرة إلى بيته وأطلعني على مؤلفاته فرأيت منها (السفينة المشحونة) قد أنجز منها المجلد الأول وبعض الثاني، واستعرتها منه فأعاريني الأول لمدة أسبوع، وتصفحت الكتاب فإذا هو كتبه حسداً لشيخه أبي البيض على (جؤنة العطار)، وأخذ منها الكثير، وتجرد لهتك عرضه بما يستحيي من ذكره، ولما خرجت من عنده ولم أشرب عنده حتى الماء، لقيني أخوه الحسن وكان على علم بالكتاب، فاستعاره مني وألح وبالغ، فدفعته إليه على أن أرجع بعد أسبوع لرده إلى صاحبه، وهكذا رجعت وتسلمت الكتاب، ولم أجد مؤلفه، فذهبت إلى الزاوية فلم أجد شقيقه عبد الحي، فدفعت الكتاب لابنته الكبرى وأوصيتها أن لا تدفعه إلا لأبيها، ورجعت إلى بلدي وكان معي الأخ عبد السلام ابن تامة الحُسيني رحمه الله، وبعد أيام بعث إلى صهري التجكاني ودفع إلي رسالة من أبي العُسر بمحضر حاملها من طنجة أحمد بن عجيبة الذي حمل أربع رسائل إلى بعض الناس للإيذاء والتشهير، وقد قاء ما في صدره علي، ووصفني بالطالب الخائن (الذي أكل طعامنا)، وأخبر أنني أخذت الكتاب إلى عدوهم الأول (فرعون التجكانيين) أبي البيض، وأن هذا لما وقف على فضائحه في الكتاب عزم على حرقه، فتوسلت إليه وبكيت –و في رواية عبد الحي– أنني سجدت على قدميه أقبلها وأبكي وأرغب، فما كان منه إلا أن انتزع منه الأوراق المتعلقة به ورجع إلي الكتاب، وهذا كله بهتان وافتراء وقذف، وقد طلبت ممن أرسل إليهم الرسائل أن يمكنوني منها لأرفع عليه دعوى بالقذف، فلم

يساعفوني، وأخبروني أنهم أحرقوها، ولما علم أبو البيض كتب إلي يهدئني ويشرح لي أخلاق القوم وسوء معاملتهم، ويخبرني بأنهم وسائر أقاربه من تجكان قوم مفسدون، فُطروا على الأذى والشر، وأنهم أمة حاقدة حاسدة طبعا، وقال : إياك أن تطلعهم حتى على شرب الماء البارد، والرسالة تحت اليد بخطه[1]، وآسفني أنني كتبت إلى أبي العُسر أعتذر إليه وأبرئ نفسي مما رماني به، وأحلف له بالأيمان المغلظة أنني لم أفعل شيئا مما توهم، ولم أكن أعلم أخلاق القوم، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما حمت حولهم، ولا أمررت على خاطري ذكرهم، وذكرت بوصف أبي العسر إياي بأكل طعامهم أنني حضرت مرة بمرتيل غذاءً، وجرى ذكر الشيخ عرفة الحراق فذكرت بعض أقواله وأعماله القبيحة، ولما خرجت قال لي الصهر التجكاني : إن سيدي عبد العزيز عاب عليّ وقيعتي في الحراق وأنا كنت آكل طعامه، فعلمت أن البائس الفقير مهووس بالطعام يمن به ويؤذي، مما يدل على لؤمه وسوء تربيته، وليته كان حقا فإني لا أذكر أنني شربت الماء عنده كما أشرت إليه آنفا، ولم يدر اللئيم أنني أعلم دين الزاوية وأنها إنما بنيت للسلب وأكل أموال الناس بالباطل، ولذلك كنت وأنا ما زلت أغشاها ومن روادها أدفع للشيخ الزيارة وأعدها ثمنا لما آكل وإعدادا للمستقبل إذا حاسبني لئيم من أهل الزاوية طالبته بالحساب، وقد حدثني بعض الناس الثقات أنه كان يجد في نفسه من قول أحد أبنائهم الفساق له أمام الناس بقصد الاحتقار : إنكم من فقرائنا، فقلت له : ولِمِ لَمْ تقل له أنت : وأنتم من (سُعْياننا) . ومسألة أخرى من أخلاق أبي العسر أنه كان يستحل أموال الناس، فقد حدثني كتبيان بطنجة أنهم كانوا إذا باعوا له كتابا أتعبهم غاية في الأداء، واشترى مرة من الكتبي الناصر بتطوان سنن البيهقي الكبرى بستمائة درهم أدى منها ثلاثمائة وجحد الباقي، وكتب إليه الكتبي بمحضري يطالبه

[1] وانظر الجواب المفيد 67 .

بحقه فأجابه بأنني لست الحسن الثاني، ولا أدري ماذا يريد !؟ وتأمل ورع الرجل المحدث شيخ الطريقة، وربيب الزاوية، المولع بالرقص والتصفيق، وقد أورث هذه الخصلة مَريده الدعي الكرفطي فاستباح أموال الناس بالباطل، وحدثني غير واحد من أنعامه أنه زار دمشق وعزم أن يرزأ الإمام الهمام، الورع بحق، الذي كان يأكل من كد يده ناصر الدين الألباني طيب الله ثراه : ماله وكسبه، فاستأذن عليه في بيته وأمر بهائمه أن يجعلوا مسابحهم من أعناقهم لأن الرجل –الألباني– وهابي لا يحب السبحة، ولما دخلوا عليه اقترض منه أبو الفتوح بضع مآت من الليرة لنفقة السفر، فأقرضه إياها، فكان آخر العهد بها، ولما زار الألباني طنجة لقيته بها وسألته : هل زارك أبو الفتوح ؟ فقال : لا، ولعله من أجل الدّين الذي مرت عليه سنوات، وهكذا القوم وأخلاقهم ومعاملاتهم غريبة عن أخلاق الإسلام والإيمان، والسنة عندهم في كحل العينين وخضاب اللحية وتربية الوفرة والعمامة والعذبة، ونحو هذه الشكليات، أما الصدق والأمانة والورع واتباع السنة بحق فهم لا يعيرونها اهتماما اعتمادا على شفاعة شيوخهم، وقد ذكر أبو الفتوح في كرامات الشيخ محمد بن الصديق أنه سينصب نفسه على متن جهنم ليمر أصحابه عليه[1]، فليهنأوا بهذه الكرامة، وعندي من أخبار القوم ومصائبهم الأخلاقية والمالية والعقدية ما لا داعي إلى ذكره لخروجه أولا عن الموضوع وطوله ثانيا، وقد رأيت هذه الطرر طالت واستطالت وبلغت العشرين، فرأيت الاقتصار عليها والتوجه إلى الفصول العشرين من (الصحيفة) وفاءً بالوعد، وإعلانا للواجب، وقبل الشروع فيها أنبه إلى ما يلي :

تنبيه :

[1] حياة الشيخ أحمد بن الصديق 58 .

أولا :

لم أرد مما أثبت من الطرر العشرين السابقة استيفاء الرد على [(دفاع عن كرامة وعرض سليل الأشراف الحافظ الإمام سِيدي أحمد بن الصديق رحمه الله تعالى) تأليف الفقير إلى الله تعالى عدنان بن عبد الله زُهار عفا الله عنه، قدم له المحْدِث السريف أبو الفتوح عبد الله بن عبد القادر التليدي حفظه الله]، وذلك لأن مجال البحث فيه واسع لكثرة أخطاء الرجل وجهله، وقد استوفى المهم من الرد قبلي الأخ الأستاذ الفاضل بدر العمراني الطنجي في كتابه (وقفات مع عدنان زهار في دفاعه عن الشيخ أحمد بن الصديق الغماري)، وهو مرقون في 35 صفحة بالحرف الصغير، ولعله يوفق لتخزينه وعرضه على شبكة الإنترنيت ليعم النفع به .

ثانيا :

يلاحظ أنني منذ الطرة الأولى غيّرت كنية السِّيخ أحمد –و أرى أن تُقرأ كلمة الشيخ بالسين المهملة– أبا الفيض بالفاء أخت القاف، إلى أبي البيض بالباء الموحدة جمع بيضة، وأنا أعلم أن الشيخ كنى نفسه بأبي الفيض، ولقبها بشهاب الدين، وقد زوحم في الكنية واللقب، فمن القدماء الصوفي ذي النون المصري النوبي، ومن المتأخرين الشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس والإحياء، وعصريه الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، وانظر ماذا يعنون بالفيض، ولا شك أن أحمد الغماري يعني : الفيض الفلسفي من العقل الأول طبق الأفلاطونية الحديثة التي تنحو نحو الوحدة، وقد حرفها أخوه عبد العزيز فكان يكنيه أبا الغيظ بالغين المعجمة والظاء المشالة، ولما سمعني بعض الطلبة أحدث ببعض فواقر السيخ

الغماري، قال لي : أنا لا أكنيه إلا بأبي البيض فصادف مني استحسانا فاستعملتها لإعرابها عن الصواب الواقع[1] .

ثالثا :

إنني أنصح عَزْنان زُحار الذي أماط قناع الحياء عن وجهه، أن يراجع نفسه، وأن لا يثق بمن دفعوه للوقيعة برموز العلم والإيمان، والذين يقال فيهم بحق، لحوم العلماء مسمومة، وليعتبر بمن يدافع عنه فقد عانى من المصائب والويلات طيلة حياته القصيرة، ولا أرى ذلك إلا من استطالته في أعراض الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، ووقيعته في عرض شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وتلاميذه، وقد مات وهو بين الناس دون شهادة[2]، كما أنصح له بقراءة كتاب "الزاوية" و"رسائل الصيام" للشيخ الزمزمي، والله يتولى هدانا أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه، آمين.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه والتابعين

كتبه:

[1] ثم وقفت على بيت لأحمد خيري ضمن أرجوزة له في الباب يقول فيه :

أمـــا الكـــنى (بالفضـــل) أو (بالفـــيض) فحقهـــا (بالفجـــل) أو (بالبـــيض)

ثم قال شارحا : إشارة إلى أن كنية عبد الله بن محمد بن الصديق هي (أبو الفضل) وكنية أحمد أخيه هي (أبو الفيض) ، ولما كانت الفاء ترسم نقطتها في الخط المغربي من تحت فتظهر كأنها (أبو البيض) .

[2] وانظر تفصيل ذلك في رسالة "خطاب مفتوح إلى السيد الزمزمي" أحمد محمد مرسي وإسماعيل تمام .

علامة تطوان

أبو أويس محمد بوخبزة الحسني